المبحث الأول

من رواد الدرس اللغوي في مصر

قامت البدايات الأولى للدرس اللغوي العربي الحديث في مصر وشهد نموه وثراؤه وازدهاره، وكثرة الأعلام الذين برزوا فيه، الذين كان لهم باعٌ طويلٌ في تاريخ اللغة العربية ونهضتها في العصر الحديث، فقد أثبتت مصر ((كفايتها واستعدادها الكبير في ميدان العلم والصناعة، وتربية الرجال، ونشر الثقافة ونقل العلوم العصرية إلى اللغة العربية، وبواسطتها إلى الأمة العربية،وعنايتها بالصناعة الوطنية وتنظيم شؤون دولتها،...أمّا فضلها على اللغة العربية وإحياؤها للكتب العربية وتقدّم الصحافة والطباعة وحركة النشر فيها فمن المآثر والمفاخر التي سيسجلها التاريخ، ويردد صداها المستقبل ويدين بفضلها العرب جميعاً))[1]

وقد شهدت مصر بين أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين تكوّن جيل من العلماء في كافة المجالات، واستطاع هؤلاء أن يقودوا الحياة الثقافية في مصر والعالم العربي ردحاً من الزمن، ومن هؤلاء الأعلام في مجال الدرس اللغوي:

1. حفني ناصف1856-1919م
2. مصطفى صادق الرافعي 1881-1937م
3. علي الجارم 1881م-1949م
4. أحمد أمين 1886م-1954م
5. سلامة موسى 1887م-1958م
6. إبراهيم مصطفى 1888م – 1961م
7. محمد محيي الدين عبد الحميد 1900 -1972م
8. طه حسين1889 م-1973م

9- إبراهيم أنيس 1906م – 1978م

10- علي عبد الواحد وافي 1901-1991

(1) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين:251.

وفيما يأتي تعريف بهؤلاء الأعلام مرتبين حسب تاريخ وفياتهم:

1-حفني ناصف (1856-1919م)[1]

هو محمد حفني بن محمد إسماعيل خليل ناصف، ولد يوم الجمعة 16 ديسمبر(كانون الأول) سنة 1856م ببركة الحج، من أعمال مدينة القليوبية [2].

توفي والده وهو مازال جنيناً في بطن أمه، فكفله خاله وجدته لأبيه، التحق بكتّاب القرية لحفظ (القرآن الكريم) وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة،حفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة عشرة من عمره ثم التحق بالأزهر لتحصيل العلم وظل به من سنة 1869 حتى 1879 إذ التحق بمعهد دار العلوم سنة 1879، وتخرج فيه سنة 1882، وكان ترتيبه الأول في جميع مراحل الدراسة، والتحق فور تخرجه مدرساً بمدرسة العميان والخرس للتدريس بها رغم أن ترتيبه الأول على جميع الناجحين[3].

في سنة 1885 شغل حفني ناصف وظيفة في القضاء، ومن هذا الطريق اتصل بالقانون، فأشرف على الترجمة القانونية والقضائية وقام بتنسيقها ورحل إلى أوربا عدة مرات، واتصلت أسباب المعاونة والمودة بينه وبين المستشرقين حتى اختاروه عضواً في مؤتمر المستشرقين في فيينا عاصمة النمسا، ووقع الاختيار عليه لتدريب مادة الإنشاء القضائي بمدرسة الحقوق التاريخية من سنة 1887 حتى سنة 1892، وكذلك المنطق والبلاغة وآداب المناظرة، وفي سنة 1892 دخل امتحان مسابقة في المواد القانونية لشغل وظائف قضائية، ونجح في المسابقة بتفوق وامتياز وعيّن قاضياً سنة 1892 وتنقّل في أقاليم عدّة ما بين القاهرة وقنا وطنطا،وقام برئاسة الجامعة المصرية سنة 1908عند تأسيسها، وكان من أوائل المدرسين بها كما شارك في إنشاء (المجمع اللغوي الأول) [4].

خرج من القضاء سنة 1912 وهو في وظيفة(وكيل محكمة طنطا الكلية)وعمل كبيراً لمفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف سنة 1912، وظل بها حتى أحيل إلى المعاش في 25 فبراير(شباط) سنة 1915[5].

ويعدّ أحد أعلام الأدب والشعر واللغة والقضاء في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، ممن لهم نصيب وافر في بناء النهضة العلمية

---

(1) ينظر في ترجمته: الأعلام:2/293-294، ومعجم المؤلفين، وضع:عمر رضا كحالة،دار إحياء التراث العربي،الناشر: مكتبة المثنى،د.ت:4/69-70، والجامع في تاريخ الأدب العربي،حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت،ط1 1986م:130، 131، ومصادر الدراسة الأدبية يوسف أسعد داغر، منشورات الجامعة اللبنانية،بيروت،1972:ق1/3/1-331-333،ومعجم أعلام المورد، منير البعلبكي،دار العلم للملايين، بيروت،ط1 ، 1992م،ص 173.

(2) ينظر: مصادر الدراسة الأدبية:1/3/331

(3) ينظر: م .ن: 1/3/332

(4)ينظر: معجم المؤلفين:4/70 والنهضة الاسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي،دار القلم بدمشق،الدار الشامية ببيروت،ط1، 1999م:3: 102 .

(5) ينظر: مصادر الدراسة الأدبية: 1/3/333

الحديثة، عالم باللغة، له عليها يد جليلة، وأديب ثقيف، وشاعر مجيد أتقن القريض ونظم الأزجال، ومربّ خرّج أجيالاً في المدة التي تولّى فيها التعليم في الأزهر، ومدرسة دار العلوم، والجامعة المصرية في أول عهدها.

كان مؤلفاً دقيقاً، مجدداً، مبتكراً في ما وضع من مؤلفات امتازت بسهولة الأخذ وطرافة الأسلوب في علوم الصرف والنحو والبلاغة.

توفى يوم الثلاثاء (24 جمادي الأول سنة 1337 هـ)، الموافق 25 فبراير(شباط) 1919م[1].

مؤلفاته:

1. تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية،مصر 1910، وهو مجموع محاضراته في الجامعة المصرية[2].
2. قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ألفه بالاشتراك مع غيره ألفوه سنة1892[3].
3. الدروس النحوية بالاشتراك مع غيره (4) أجزاء[4].
4. مميزات لغات العرب، طبعة بولاق، قدمها إلى مؤتمر المستشرقين في فيينا[5].
5. شعر حفني ناصف، جمعه ولده مجد الدين[6].

نظرة في آثاره

وقفنا على اثنين من مؤلفاته هما: تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية، والدروس النحوية لتلاميذ المدارس الابتدائية، أما تاريخ الأدب فقد كتب مقدمته ولده (مجد الدين) في سنة 1958م، قال فيها إن حفني ناصف لم يكن غريباً عن جامعة القاهرة يوماً وهي التي تنشر هذا الكتاب اليوم؛ لكونه تخرج من دار العلوم ودرّس في مدرسة الحقوق، وتخرّج على يديه أعلام القانون والأدب والسياسة والاقتصاد، هذا قبل أن تصبح دار العلوم من كليات الجامعة، بل قبل أن تؤسس الجامعة أصلاً [7].

ثم وضّح كيف تأسست هذه الجامعة، ومتى تأسست، وعن إسهامات حفني ناصف في إنشاء الجامعة وعن تدريسه فيها، وعن كتابته لهذا الكتاب، وهي محاضرات ألقيت على طلبة الجامعة في مادة تاريخ آداب اللغة العربية في سنتي 1909و 1910م.

---

(1) ينظر: الأعلام: 294/2،ومعجم المؤلفين: 70/4 ،ومصادر الدراسة الأدبية:333/3/1،

(2) وهي محاضرات ألقاها على طلبة الجامعة المصرية سنة 1910،مطبعة جامعة القاهرة،ط1958/2م.

(3) وهو كتابان في كتاب خُصِّصت نهاياته للبلاغة،ينظر: الأعلام: 294/2،ومعجم المؤلفين:70/4.

(4) وهو تأليف بالاشتراك مع كل من محمد بك دياب، والشيخ مصطفى طمطوم ،ومحمد بك صالح، توزيع مكتبة الغزالي ،طبعة جديدة 1983م.

(5) ينظر: الأعلام: 294/2،ومصادر الدراسة الأدبية:333/3/1.

(6) طبع دار المعارف /القاهرة 1957، ينظر: مصادر الدراسة الأدبية:332/3/1.

(7) ينظر:تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية: أ.

وكانت طريقته في التدريس على النحو المتّبع في الجامعات الأوربية في البحث والاستقصاء، وهو بذلك يأتي بكل جديد لم يكن لمصر عهد به، بادئاً بحوثه من حروف الهجاء [1].

وفي فاتحة الكتاب التي كتبها حفني ناصف ذكر أيضاً أيام تأسست الجامعة وبدأ الطلاب يتقاطرون على الدراسة فيها، ويقبلون عليها من كلّ حدب، ثم تحدّث عن تدريس تاريخ آداب اللغة العربية، وكيف أن الطلبة كانوا يضيقون ذرعاً بالعربية الفصيحة، ويعدونها ضرباً من الفيهقة؛ لأنه لم يجار طبقتهم ولم يساير هم في خطئهم[2].

لم يتبع المؤلف منهجية واضحة في تقسيم الكتاب، إذ ذكر في أول الكتاب (الفصل الأول)[3]، ولم نجد ترقيماً للفصول الأخرى، فالكتاب هو مجموعة محاضرات، ولكلّ محاضرة عنوان، وأول محاضرة كانت عن أسباب بعث اللغة العربية، ومقدمة في علم تاريخ الأدب، ثم تقسيم التاريخ إلى قسمين اثنين:عام وخاص، وهذا كلّه يعدّ بمثابة تمهيد للكتاب، ومعنى الأدب ومساكن العرب، وعاداتهم، وديانـاتهم، وأشهر أصنامهم، ثم أنبياء العرب، واشتقاق كلمة عرب، وتقسيمهم إلى بائدة وباقية، وعاربة ومستعربة، ثم الفصل الأول منه وقد خصصه للحروف اللفظية،والأصلية والفرعية ومخارج الحروف وترتيبها، وخواصها، والحروف الخطيّة، وتاريخ الخط العربي قبل الإسلام، وأصناف الخط، وسلسلة الخط العربي، ورأي مؤرخي أوربا في تسلسل الخط العربي، ورأي مؤرخي العرب كذلك، والخط في المدينة، ثم ملخص مجموع الروايات، وجدول سلسلة الخط عند مؤرخي العرب، ثم مذهبه في هذه المسألة، وسلسلة الحروف العربية مجتمعة، وتاريخ الخط العربي بعد الإسلام، وصورة الخط الكوفي المزخرف، والشكل بطريق النقط، وسبب وضع الشكل، ومباحث النحو التي أشار إليها علي(كرم الله وجهه)، وتلامذة أبي الأسود، وعلامة التشديد القديمة، والألوان الأربعة التي استعملت لكتابة المصحف، والإعجام ومعناه، ووجوده قبل الإسلام، وعدد الحروف المهملة والمعجمة، والأحرف التي لا تقبل الإعجام، وأمثلة من الخطوط العربية القديمة، وأسماء خطوط المصاحف، وأصناف الأقلام التي تولّدت من الأقلام الأصلية، وتاريخ تجويد الخط العربي، وصحائف العرب، وكتابة المعلقات، ثم المطبعة وأنواع المطابع، واختزال الكتابة وأول من اختزل الكتابة، واصطلاحات الكتاب والمؤلفين في الاختزال، وآخر المواضيع كان سعة الحروف العربية لجميع اللغات.

يمتاز الكتاب بشموليته، وسعة المعلومات التي يحتويها، وغزارة المادة المنوعة بين دفتيه، رغم صغر حجمه، فهو لا يتجاوز الـ (130) صفحة من القطع المتوسط، فهو يعدّ بحق مقدمة لتاريخ آداب اللغة العربية؛ لأنه شامل لتاريخ اللغة العربية بدءاً من عصور ما قبل الإسلام، وانتهاءً بظهور المطابع وتطورها، أي: إلى العهد الذي عاش فيه المؤلف، وكتب محاضراته هذه وألقاها

(8) ينظر: م . ن: ب.
(1) ينظر: تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية: 1.
(2) ينظر: م . ن: 10.

على طلبته، أما كتاب (الدروس النحوية لتلاميذ المدارس الابتدائية)، فقد ألفه بالاشتراك مع مجموعة من المتخصصين، قررت وزارة المعارف تدريسه لطلاب السنة الثانية الابتدائية بعد أن صدّقه شيخ الجامع الأزهر[1].

مقدمة الكتاب تناولت حديثاً غير طويل عن مراعاة حال المتعلّم في أطواره المتتالية، وحمله تدريجاً على العمل بما يعلم، فلذلك كان هذا الكتاب؛ لمزج العلم بالعمل، واتصال القوة فيه بالفعل، وقد وضعوه –كما قالوا- بثلاثة كتب: أولها لتلاميذ السنة الثانية، وأعمارهم قانونياً لا تتجاوز تسعة أعوام؛ فلذلك لم يتضمّن الكتاب إلاّ مبادئ النحو الضرورية مع الأمثلة وبعض الضوابط السهلة، حتى إذا تدرّبوا عليها شرعوا في الكتاب الثاني المتضمن زيادة لما في الأول وتوسعة للمطالب فيه، وشروحاً لإعطاء المواضيع حقّها، ثم الثالث المتضمن فضلا عمّا في الثاني من زيادة وتتميم[2].

أول الكتاب في الحديث عن الحروف الهجائية وتركيب الكلمات، وأنواعها وأقسامها، ثم تتدرّج المواضيع إلى الفعل وأقسامه والجمع وأقسامه، ثم أصناف المبنيات، وأنواع الجمل، وأنواع المفاعيل، وغيرها من الموضوعات التمهيدية السنة الثانية.

ويبدأ الكتاب الثاني وهو مخصص لتلاميذ السنة الثالثة بفائدة وهي تعدّ مقدمة للكتاب تحدث فيها المؤلفون عن فائدة اللغة العربية وحصرها بألفاظ مخصوصة ومركبات تحصل بها الفائدة الضرورية.

ويختلف هذا الجزء عن الأول في كون المؤلفين لم يروا من حاجة للشرح المطوّل كما في الكتاب الأول، ولكنهم اكتفوا بالإيضاح القصير عندما يجدون الحاجة ماسّة إلى التفسير مع الأمثلة وجملة من التمرينات[3].

يبدأ الكتاب بتقسيم الحروف إلى خمسة أقسام، ثم الكلام على تقسيمات الفعل وإعرابه وبنائه، وبيان المعرب من المبني، و كلام على الاسم وتقسيماته وإعرابه، والمفاعيل بأنواعها، وجرّ الاسم ومواضعه وحروف الجر، وأخيراً التوابع وأنواعها.

أما الكتاب الثالث وهو مخصص لتلاميذ السنة الرابعة، فيبدأ بمقدمة ذكر فيها المؤلفون أنهم في هذا الكتاب اتبعوا منهجية جديدة وهي إبقاؤهم لأكثر عبارات الكتاب الثاني وزادوا عليها ما أرادوا زيادته لتتميّز المَعاني للمُعاني، فلا يعسر عليه إذا عرف السابق أن يضمّ إليه اللاحق، ولم ير المؤلفون من ضرورة ذكر كثير من الأمثلة، والفصل بين أجزائه بأسئلة، ثم التنبيه في الحواشي

(1) وهو يتكون من ثلاثة أقسام،كتب على غلاف الكتاب أن وزارة المعارف قررت الكتاب لتلاميذ السنة الرابعة،وفي داخل الكتاب وجدنا في مقدمته إنه مخصص لتلاميذ السنة الثانية والكتاب الثاني مخصص لتلاميذ السنة الثالثة ،وقد يكون هذا خطأ طباعي، أو أن يكون المقصود هو الكتاب الثالث الذي خصص –كما يبدو-لتلاميذ السنة الرابعة.

(2) ينظر: الدروس النحوية: الكتاب الأول /3.

(3) ينظر: م . ن: الكتاب الثاني/ هـ.

على ما اشتهر فيه على الألسنة من الخطأ في الكلام؛ حتى لا يكون شيوع الغلط في كثير من الموارد حجاباً حائلاً دون الالتفات للقواعد[1].

أول أبواب الكتاب هو تقسيم الحروف باعتبار عدد هجائها وباعتبار معانيها أو أعمالها، ثم الكلام على الفعل وتقسيمه، ختم الكتاب بمجموعة تمرينات، وهو عادة ينهي كل موضوع بتمرين أو اثنين.

من الواضح للقارئ أن هذا الكتاب تعليمي، مخصص لطلاب المدارس الابتدائية؛ لأنه يمتاز بسهولة المأخذ، وطرافة الأسلوب، فقد آثر مؤلفوه بيان الأمثلة والضوابط السهلة، ولم يستعينوا بذكر الإعراب التقديري والمحلي إلاّ لماماً؛ لأنهم استعانوا بالإعراب الظاهر، كي لا يختلط ويضطرب ذلك في ذهن الطالب وهو في مراحله الأولى.

وإذا ما تأملنا كتاب الدروس النحوية للمدارس الابتدائية جيداً فسنخرج بنتائج أهمها:

1-قلّة الهوامش في الكتاب الأول وكثرة الحواشي، بينما تركّزت الهوامش في الكتابين الثاني والثالث وانعدمت تماما الحواشي.

2- صدر الكتاب بأجزائه الثلاثة في كتابٍ واحد ضمّها جميعاً من القطع الصغير، وقد جرى تعديل على الكتابين الثاني والثالث وهذا ما أشار إليه المؤلفون في ملاحظة طُبِعت على الغلاف، كما أكّدت ذلك مقدمة الكتاب الثالث، وقد يكون السبب في ضمّ الكتب الثلاثة في كتابٍ واحد هو بقاء السلسلة متّصلة ببعضها منذ المرحلة الثانية فالثالثة فالرابعة، وربّما يكون ذلك مراعاةً لمستويات التلاميذ المادية، فبدل أن يشتروا ثلاثة كتب، كتاب لكلّ مرحلة اختصروا الكتاب وجمعوه بكتابٍ واحد، أو قد يكون تأخر الطباعة وقلة الورق وجودته.

3- تدرّج المؤلفون وعلى رأسهم حفني ناصف أثناء عرضهم للمادة المُقدَّمة للتلاميذ؛ فالمواد التي طُرِحت في الكتاب الأول هي نفسها أو معظمها طُرِحت في الكتاب الثاني والثالث، ولكن في كل مرحلة يتوسّع المؤلفون أكثر، ولنأخذ مثالاً على ذلك المفعول به فقد درسه حفني وزملاؤه بأبسط صورة في الكتاب الأول معرّفاً إياه وضارباً الأمثلة لتقريبه من أذهان التلاميذ إذ يقول إنه((...كل اسمٍ دلّ على ما وقع عليه فعل الفاعل ولم يغيّر لأجله لفظ الفعل،أما إذا غيّر لفظ الفعل فيكون الاسم نائب فاعل ويجب رفعه))[1]، ويتوسّع في الكتاب الثاني ويشرح كيف يكون المفعول به متعدداً في الجملة وكيف يكون أصله مبتدأ وخبراً وما ليس أصله كذلك، وهنا أدخل معلومات لم يكن يعرفها التلاميذ مسبقاً ولم تُطرح عليه قبل، ويتدرّج في تقديم المعلومة فنصل إلى تلاميذ المرحلة الرابعة والكتاب الثالث الذي يضمّ فيه معلومات تناسب أعمار التلاميذ ومداركهم العقلية،فيتشعّب الكتاب

---

(4) ينظر: م . ن: الكتاب الثالث: ز.

(1) الدروس النحوية: 30 .

بمعلوماته إذ نجد أن المؤلفين أدخلوا تفصيلات أكثر دقة على المفعول به كتقديمه وتأخير الفاعل والتراكيب التي يدخل فيها المفعول به كالإغراء والتحذير والاختصاص مستدلين في ذلك بالأمثلة التوضيحية.

4- خصص حفني ناصف معظم مؤلفاته للتعليم بدءاً من المدارس الابتدائية والثانوية وأخيراً وجدنا كتابه تاريخ الأدب وهو محاضرات لطلبة الجامعة، فهو بالدرجة الأولى رجل تعليمي يسعى إلى ترسيخ المفاهيم وعلوم اللغة العربية في أذهان الطلبة على مختلف مراحلهم الدراسية.

5- في تقديري أنّ مادة الدروس النحوية المعطاة لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية بهذا الشكل المركَّز لطلاب لا تتجاوز أعمارهم العشر سنوات قد أثَّرت في أجيال عرفناهم فيما بعد لغويين لهم باع كبير في اللغة العربية، وأعتقد أنه لو شُكِّلت لجان في وزارات التربية لتدريس هذه الكتب التي تعدّ من أوائل الكتب المنهجية التي أُقرَّت وزارياً في ذلك الوقت لكشفت لنا عن سبب حفظ اللغة العربية إلى وقتنا الحاضر.

2- مصطفى صادق الرافعي(1881-1937م)[1]

هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي[2]، ولد في بيت جده لأمه في قرية (بهتيم)بمحافظة القليوبية بمصر في أول يناير(كانون الثاني) /1881م، أصله من طرابلس في لبنان، وهو من الفرع الذي جاء إلى مصر، ويقال إن نسبه يمتد إلى عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

والد الرافعي هو الشيخ عبد الرزاق الذي تولى منصب القضاء الشرعي في كثير من أقاليم مصر، وكان آخر عمل له هو رئاسة محكمة طنطا الشرعية، أما والدة الرافعي فكانت سورية الأصل، وأبوها كان يعمل تاجراً تسير قوافله بالتجارة بين مصر والشام[3].

دخل الرافعي المدرسة الابتدائية ونال شهادتها ثم أصيب بمرض يقال إنه التيفوئيد أقعده عدّة شهور في سريره، وخرج من هذا المرض مصاباً في أذنيه، ولم يحصل الرافعي في تعليمه النظامي على أكثر من الشهادة الابتدائية، ومع ذلك فقد كان من أصحاب الإرادة الحازمة، فلم يعبأ بالعقبات التي وضعتها الحياة في طريقه، وإنما اشتد عزمه وأخذ بالجد والاجتهاد حتى استطاع أن يكتسب ثقافة رفيعة وضعته في الصف الأول من أبناء عصره.

اضطره المرض إلى ترك التعليم الرسمي، واستعاض عنه بمكتبة أبيه الزاخرة،إذ عكف عليها حتى استوعبها وأحاط بما فيها، عَمِل في عام 1898م كاتباً بمحكمة طخا، ثم انتقل إلى محكمة طنطا الشرعية، ثم إلى المحكمة الأهلية، وبقي فيها حتى لقي وجه ربه الكريم[4].

---

(1) ينظر في ترجمته: الأعلام:235/7، ومعجم الأدباء منذ العصر الجاهلي حتى2002، كامل سليمان الجبوري،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 2003م: 233/6.

(2) ينظر: الأعلام: 235/7 والنهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ، 1: 431 .

(3) ينظر: معجم الأدباء: 233/6.

(4) ينظر: الأعلام:235/7،ومعجم الأدباء: 233/6.

في يوم الاثنين العاشر من شهر/مايو(مايس)/1937 توفي مصطفى صادق الرافعي ودفن إلى جوار أبويه في مقبرة العائلة في طنطا، عن عمر يناهز السابعة والخمسين[1].

بدأ حياته الأدبية سنة 1900، وكان اهتمامه في أول الأمر منصرفاً إلى الشعر وحده، وقد أصدر ثلاثة دواوين شعرية، وكان معظم شعره يدور حول العاطفة والحب، على أنه لم يستمر طويلا في هذا الميدان فقد انصرف إلى الكتابة النثرية، وظل مستمراً عليها إلى أن توفاه الله.

ترك الرافعي مجموعة مؤلفات [2]هي:

1- ثلاثة دواوين من الشعر.

2-تاريخ آداب العرب[3]، وهو يقع في ثلاثة أجزاء إذا عددنا الجزء الثاني الذي خصصه للإعجاز والبلاغة النبوية من ضمنها.

3-تحت راية القرآن[4]،أو المعركة بين القديم والجديد.

4-وحي القلم [5]،وهو في ثلاثة أجزاء.

5-حديث القمر.

6-السحاب الأحمر.

7-أوراق الورد.

8- رسائل الأحزان.

9-المساكين[6].

10-على السفُّود، وقد كتبه خصيصاً للرد على العقّاد؛لأنه كان ينتقد أسلوب الرافعي.

نظرة في آثاره:

من مؤلفاته التي تهمنا في بحثنا هو كتاب (تاريخ آداب اللغة العربية)؛ لكونه يحمل في صفحاته تاريخ اللغة العربية، و(تحت راية القرآن).

ظهرت الطبعة الأولى من تاريخ آداب اللغة العربية سنة 1911م، ولم يطبع بعدها على كثرة طلاّبه وشدّة الحاجة إليه، فقد ألّفه الرافعي وسنّه ثلاثون سنة، وهي سنّ قلّما يتهيّأ فيها لشاب أن يحصّل من أبواب العلم باللغة ما اجتمع له في هذا الكتاب[7].

---

(5) ينظر المصدران السابقان.

(1) ينظر: الأعلام: 235/7، ومعجم الأدباء: 233/6.

(2) دار الكتاب العربي،لبنان،ط4، 1974م

(3) صحح أصوله:محمد سعيد العريان،دار الكتاب العربي،لبنان-بيروت،ط7 ،1974م.

(4) ضبطه وصححه:محمد سعيد العريان،مطبعة الاستقامة،ط5 ،1954م.

(5) صححه وضبطه: محمد سعيد العريان،د.ط،1917م ، وقد تأثر فيه الرافعي –كما يُظَن- بأسلوب فيكتور هيجو في روايته المشهورة (البؤساء).

(6) ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية:5/1.

ويرى محمد سعيد العريان أن هذا الكتاب هو أول في فنّه، فما رأى قرَّاء العربية كتاباً علمياً في تاريخ آداب العرب قبله وكتاب جرجي زيدان[1]، وكلّ ما كتب قبلهما كان من كتابة معلّمي المدارس، وهي مجرد مذكرات لتلاميذهم تسير على نسقٍ خاص يحدده منهج التعليم آنذاك[2].

أما السبب الذي حدا بالرافعي إلى تأليف هذا الكتاب فهو كما يقول العريان في التصدير الذي كتبه للكتاب أن الجامعة المصرية التي تأسست سنة 1907، ومضى على إنشائها سنتان ولم يستحدث فيها شيء في الأدب، فلم يجد الرافعي غير اتجاهين: اتجاه استشراقي يعنى بمسائل العلوم عند العرب كتاريخ الفلك والطب والكيمياء ويقوم بتدريسه نفر من المستشرقين أوتوا الإحاطة بتاريخ هذه العلوم إذ قرؤوا من المطبوعات والمخطوطات ما أهّلهم للحديث في هذه المسائل، واتجاه آخر يقوم به أساتذة من المصريين يحوم حول الأدب ولا يقربه.

فكتب مقالاً في إحدى الجرائد حمّل فيه الجامعة وأساتذتها ومنهجها الأدبي كل تأخّر، فأحدث المقال أثره فاجتمعت اللجنة وسبّقت بين الأدباء بجائزة لمن يؤلف كتاباً في أدبيات اللغة العربية، متعهدة بطبع الكتاب، فانقطع الرافعي لتأليف كتابه هذا منذ سنة1909إلى سنة 1911-كما قلنا سابقا-، حيث أخرجه ولكنه لم يتقدّم به إلى الجامعة؛ لأنه لم يكن طامعاً في الجائزة، وكان أسبق المؤلفات ظهوراً لدعوة الجامعة هو الجزء الأول من كتاب جرجي زيدان، إذ سبقه بشهر أو شهرين سبقاً طباعياً[3].

قسَّم الرافعي كتابه على اثني عشر باباً، الثلاثة الأولى صدّر بها الجزءين الأول والثاني، وقد سبق طبعهما في حياة المؤلف، أما سائر الأبواب فقد صدرت في الجزء الثالث الذي طبع بعد وفاته، إذ خلفه المؤلف بشكل أوراق مخطوطة فرغ من تأليفها على ما يبدو مع الجزأين الأولين، ولكنها لم تطبع إلا في سنة 1940م[4].

قال المؤلف في كلمة إن المتأخرين قسّموا هذا التاريخ(الأدب العربي) إلى خمسة عصور، الجاهلية، وصدر الإسلام، فالأموي، فالعباسي إلى سقوط الدولة العباسية، ثم ما تعاقب من عصور، ويرى أن أول من ابتدع هذا التقسيم هم المستشرقون من علماء أوربا، إذ قاسوا على أوضاع آدابهم مما يسمونه Literature، وهذه العصور-برأيه- إن صلحت أن تكون أجزاءً للحضارة العربية، فلا تصلح أن تكون أبواباً لتاريخ آداب اللغة التي بلغت بالقرآن الكريم مبلغ الإعجاز على الدهر[5].

وهو يرى أن العلماء تهافتوا على اختصار الكتب وشرحها وتفتيقها بالحواشي والتعاليق وتلخيص المتون مما يورث الاضمحلال؛ لذا كانت طريقته في التأليف هي الضمّ لا التفريق، حيث يجعل الكتاب على الأبحاث التي هي معاني الحوادث لا على العصور[6].

---

(7) يقصد تاريخ آداب اللغة العربية،سنأتي عليه في المبحث الثالث.
(8) ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية:7/1 .

(1) ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية:14/3 .
(2) ينظر: م . ن: 18/1.
(3) ينظر: م . ن: 24/1.

قسّم الرافعي كتابه على اثني عشر باباً بعد فصلين خصصهما للتمهيد الذي خُصِّص لتاريخ الأدب وأصل العرب، ثم الباب الأول الذي خُصص لتاريخ اللغة ونشأتها وتفرعها.

والثاني: لتاريخ الرواية ومشاهير الرواة.

والثالث: لمنزلة القرآن الكريم في اللغة وإعجازه وتاريخه.

والرابع: في تاريخ الخطابة والأمثال.

والخامس: في تاريخ الشعر العربي ومذاهبه.

والسادس: في حقيقة القصائد المعلقات ودرس شعرائها.

والسابع: في أطوار الأدب.

والثامن: في تاريخ الكتابة وفنونها وأساليبها.

والتاسع: في حركة العقل العربي وتاريخ العلوم وأصناف الأدب.

والعاشر: في التأليف وتاريخه عند العرب.

والباب الحادي عشر: في الصناعات اللفظية التي أولع بها المتأخرون في النظم والنثر وتاريخهما.

والباب الثاني عشر والأخير: خصّصه للطبقات وشيء من الموازنات.

يقول الرافعي عن كتابه هذا إنه لم يستكثر الأمثلة(المختارات) بما لا فائدة منها، إلاّ قليلاً يستوفي به حقّ النقد، وكذلك ضرب صفحاً عن الروايات الضعيفة، والمبالغات السخيفة، وبالغ في التثبّت والتحقيق، والتأكّد من الآراء وتجريح النقلة والرواة.

نلاحظ أن الباب الثاني عشر وهو الباب الأخير في الكتاب الخاص بالطبقات وشيء من الموازنات غير موجود، ولم نعرف لذلك سبباً إلاّ قول محمد سعيد العريان في مقدمة الطبعة الأولى حين كان يوضّح كيف رتّب الجزء الثالث بعد أن وجده جذاذات متناثرة ((... وكان شأن الباب الثاني عشر شأن الأبواب المغفلة مما سبق))[1].

وقد يكون معناه أنه أُغفِل، أو لم يجده المحقق حين قام بطبع هذا الجزء خصوصاً وأن الرافعي كان قد توفاه الله.

ويرى البيومي عند مراجعته لما عثر عليه الأستاذ محمد سعيد العريان وقدمه للطبع فعلاً، وجد أنه لم يتحدث عن تاريخ الخطابة والأمثال جاهلية وإسلامية، ولم يعرف كيف أغفله الرافعي، لأن مراجعه ميسورة، ولا يحتاج إلى جهد كبير، كذلك لم يتحدث عن تاريخ الكتابة وفنونها وأساليبها ورؤساء الكتاب وما يجري هذا المجرى، و يَجزِم بأن الرافعي لم يكتب هذا الباب، لأنه يحتاج إلى مجلد ذي أجزاء فتاريخ الكتابة أموية وعباسية وأندلسية وفاطمية ومملوكية حتى هذا العصر لا يمكن أن يجيء في فصل واحد، وكان الرافعي لحظ ذلك فتركه حتى يتهيأ الوقت لأدائه

---

(4) ينظر: م . ن .

(1) ينظر: تاريخ آداب العرب: 12/3.

على وجهه الصحيح، وكذلك وجد في ما تركه من الحديث عن حركة العقل العربي وتاريخ العلوم من شرعية ولسانية وتجريبية وتاريخية وفلسفية واجتماعية إلى آخر ما يندرج تحت مادة العلوم لا يقوم به فصل من كتاب مهما توخى صاحبه الإيجاز، حتى ولو سلك مسلك كتب المدارس الثانوية في اختصارها، وما هكذا الرافعي ذو القول الزاخر كالعباب.

وعند الوقوف بباب حقيقة القصائد المعلقات ودراسة شعرائها يجد أنه لم يتعرض لغير ثلاثة من السبعة المشهورين، إذ قصر حديثه على امرئ القيس، وطرفة بن العبد،وزهير، مع أنه تحدث في المقدمة عن السبع الطوال، فهل اكتفى بهؤلاء الثلاثة وترك أمثال عنترة ولبيد وابن كلثوم والحارث وهم يندرجون تحت الباب؟ أكبر الظن أنه تحدث عنهم، وضاع ما كتب وإلا لكان من الواجب أن يبين لماذا ترك الحديث عنهم مع اكتفائه بسواهم[1].

أما كتابه الآخر فهو (تحت راية القرآن) الذي خُصِّصَ لإسقاط فكرةٍ خطرة إنما قامت اليوم بفلان الذي نعرفه، فغداً تقوم بمن لا نعرفه[2]، وهي مقالات في الأدب العربي والردّ على كتاب (في الشعر الجاهلي) لطه حسين، وإسقاط البدعة الجديدة التي يريد دعاتها تجديد الدين، واللغة، والشمس، والقمر[3].

لم أقف على تاريخ صدور أولى طبعات هذا الكتاب، ولكن استطيع أن استنتج أنها صدرت سنة 1926أو 1927؛ لأن كتاب (في الشعر الجاهلي) الذي كتبه الدكتور طه حسين صدر سنة 1926، وبما أن(تحت راية القرآن) هو ردّ صريح على طه حسين وما جاء به من أفكار في كتابه فأستطيع القول أنه أُلِّف سنة 1926أو1927م.

يضم الكتاب بين دفتيه حديثاً عن المذهبين القديم والجديد، والجملة القرآنية، وما وراء الأكمة، وهي مقالة ردّ فيها الأمير شكيب أرسلان على مقالة الرافعي الجملة القرآنية، والرأي العام في العربية الفصحى، وتمصير اللغة، وهي جميعا مقالات نشرت في مجلتي الزهراء والبيان، وتعدّ مقدمة وفاتحة للكتاب، ثم يبدأ الكتاب بكلمة (مقالات في الأدب العربي في الجامعة المصرية).

أولى المقالات كانت كلمة(للتاريخ)، ثم الأدب العربي في الجامعة المصرية، والدكتور طه حسين وما يقرره، والتاريخ لا يكون بالافتراض ولا بالتحكم، وأسلوب طه حسين، والقنبلة الأولى، ورسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب، ثم مجموعة مقالات بدأت بإلى الأستاذ الفهامة طه حسين، والجامعة المصرية، وإلى الجامعة أيضاً، ثم أستاذ الآداب والقرآن، وإلى هيئة كبار العلماء ومجلس الإدارة، وكتاب السفر الجاهلي ورأي لجنة العلماء فيه، وموقف حرج لوزارة المعارف، وطه حسين ابن الجامعة البكر، وعصبية طه حسين على الإسلام، وحرية التفكير أم حرية التكفير؟

---

(1) ينظر: قراءة في تاريخ آداب العرب للرافعي،د. محمد رجب البيومي ، جريدة الإسلام اليوم الصادرة بتاريخ:2002/4/24م.

(2) ينظر: تحت راية القران، 5 .

(3) ينظر:م. ن ، صفحة التنبيه .

وفيلسوفة النمل، ومسلم لفظاً لا معنى، ورأيي في الحضارة الغربية، ومجموعة جلسات، وبها ينتهي الكتاب.

والناظر في كتاب الرافعي هذا يجد شدة الرافعي في نقده، وقوة شكيمته في خصومته العلمية والنقدية، وعدم استسلامه في معاركه النقدية فهو ناقد صعب؛ لشعوره بالتمكن من اللغة العربية فضلاً على ثقته بنفسه، وفهمه لأسرار البيان العربي شعراً ونثراً، ولدراسة أدوات الأدب العربي لتكون صناعة القلم سليمة لديه.

ويسأل أ.د.صابر عبد الدايم [1]: لماذا وضع الرافعي قضية الانتحال التي تعد العنصر الأساسي في كتاب طه حسين، والقاسم المشترك بينه وبين الرافعي في كتابه (تحت راية القرآن) ؟ ولماذا جعل الرافعي مناقشة هذه القضية وتحريرها في الكتاب، وما علاقة القرآن بقضية الشعر الجاهلي؟

إن منهج الرافعي الذي ينطلق من المصدرين الكبيرين: الكتاب والسنة هو المحرك الأول لهذه القضية، والبعد الديني لا الأدبي، هو في المقدمة من أبعاد قضية (الانتحال) في الشعر الجاهلي.

وعند تأمل النتيجة التي انتهى إليها د. طه حسين متبعاً فيها آراء كثير من المستشرقين، وهي نتيجة سلبية لا تصدر من باحث متمكن من مقومات تراث الأمة العربية والإسلامية، وفي مقدمة هذه المقومات الإيمان بقداسة النص القرآني، وبأنه قطعي النص والدلالة يقول د. طه حسين:((للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً على إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة)) [2]، ثم يقول ((ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والقرآن والتوراة من جهة أخرى)) [3].

والرافعي يلخص تقويمه لشخصية د. طه حسين مع تفنيد آرائه في أسلوب حاد ساخر، يوجز الحقائق، ويجمل التفاصيل ولكنه يتوسع فيها بعد ذلك عبر مباحث الكتاب مستعيناً بشهادات المعاصرين من الباحثين والعلماء والنواب ورجال السياسة المنصفين، فيقول معللاً فساد آرائه فيما يتعلق بالقضايا التي أثارها في كتاب (في الشعر الجاهلي) وهي كثيرة: ((وصاحبنا يرجع في ذلك إلى طبع ضعيف لم تحكمه صناعة الشعر، ولا راضته مذاهب الخيال، ولا عهد له بأسرار الإلهام التي صار بها الشاعر شاعراً، ونبغ الكاتب كاتباً، وما هو إلا ما ترى من خلط يسمى علماً، وجرأة تكون نقداً، وتحامل يصبح رأياً، وتقليد للمستشرقين يسميه اجتهادًا، وغض من الأئمة يجعل به الرجل نفسه إماماً، وهدم أحمق يقول هو البناء وهو التجديد، وما كنا نعرف على التعيين ما الجديد

(1) ينظر: بين الرافعي وطه حسين،تحت راية القرآن،أ.د.صابر عبد الدايم، مجلة لها أون لاين، العدد الصادر في 27/أبريل/2005.

(2) في الشعر الجاهلي، طه حسين،طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة،ط1 ،1926م:ص 26.

(3)م.ن .

أو التجديد في رأي هذه الطائفة حتى رأينا أستاذ الجامعة يقرر في مواضع كثيرة من كتابه أنه هو الشك، ومعنى ذلك أنك إذا عجزت عن نص جديد تقرر به شيئاً فشك في النص القديم، فحسبك ذلك شيئاً تعرف به، ومذهباً تجادل فيه، لأن للمنطق قاعدتين إحداهما تصحيح الفاسد بالقياس والبرهان،والأخرى إفساد الصحيح بالجدل والمكابرة)) [1].

ومع ذلك نجد الرافعي حذراً في نقده،فيزيل هذه المثالب التي شخص بها مسلك د. طه حسين في منهجه وفي شخصيته،ببعض المعالم الإيجابية التي يتسم بها، وهذا يؤكد أن الرافعي في تقويمه له لم يكن متجنياً،إذ قال ((وإنه لولا ضعف خيال الدكتور طه، وبُعْده من الصناعة الفنية في الأدب، واستسلامه لتقليد الزنادقة، وبعض المستشرقين الذين لا يوثق برأيهم ولا بفهمهم في الآداب العربية، ثم لولا هذه العصبية الممقوتة التي نشأت فيه من هاتين الصفتين إلى صفات أخرى يعرفها من نفسه حق المعرفة لكان قريباً من الصحة فيما يرى، ولتدبر الأمور بأسبابها القريبة منها واستعان عليها بما يصلحها، ولتوقى بذلك جناية التهجم التي هي في أكثر أحوالها علم الجهلاء، وقوة الضَّعفى، وكياسة الحمقى وعقل المغرورين))[2].

3-**علي الجارم:** 1881 -1949م[3]

هو علي محمد صالح عبد الفتاح إبراهيم محمد الجارم، من مواليد (25/ديسمبر،كانون الأول/1881م)،في مدينة رشيد، بمحافظة البحيرة[4]، عاصر الاحتلال البريطاني مدة حياته، وقضى-رحمه الله- وما زالت مصر تجاهد للتخلّص من الاحتلال[5].

وبهذا يكون الجارم قد استظلّ بعهود توفيق[6]وعباس الثاني[7]،والسلطان حسين كامل[8]، والملك فؤاد[9].

بدأ الجارم حياته في(الكتّاب)،ثم التحق بالأزهر، ودرس فيه علوم اللغة من صرف ونحو وعروض وبلاغة، وعلوم الكلام والفقه بمذاهبه الأربعة وأصول الفقه والتفسير والمنطق[10].

---

(4) تحت راية القرآن: 134، 135.

(1) تحت راية القرآن : 135.

(2) ينظر في ترجمته:مصادر الدراسة الأدبية:2:247،ومعجم أعلام المورد:155، ومعجم المؤلفين: 109/7، 108،والجارم الشاعر:حياته،عصره،شعره،أحمد الشايب،مكتبة النهضة المصرية،ط1، 1967:ص9.

(3) وهي بلدة غربي النيل الغربي عند مصبّه في البحر الأبيض،شرقي الإسكندرية،ينظر: معجم البلدان،،أبي عبد الله ياقوت الحموي،دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر،بيروت ،1957: مج3/45.

(4) ينظر: الجارم الشاعر: حياته،عصره،شعره:9.

(5) هو محمد توفيق باشا(1852-1892)خديوي مصر من(1879-إلى1892)، رَقِيَ العرش بعد أن عزل السلطان عبد الحميد الثاني أباه،ينظر:معجم أعلام المورد:146.

(6) وهو عباس حلمي باشا(1874-1944)خديوي مصر(1892-1914)ابن الخديوي توفيق،خلعه الإنجليز عند نشوب الحرب العالمية الأولى،ينظر: م.ن: 281.

(7) وهو حسين كامل(1853-1917)سلطان مصر(1914-1917)ابن الخديوي إسماعيل،نصبه الإنجليز سلطاناً بعد خلعهم الخديوي عباس حلمي،ينظر: م . ن:182.

(8) وهو أحمد فؤاد(1868- 1936) ابن الخديوي إسماعيل،قضى معظم سني حكمه في صراع مع حزب الوفد المصري،ينظر: م . ن: 329.

(1) ينظر: الجارم الشاعر: 24، ومصادر الدراسة الأدبية:247

دخل دار العلوم سنة 1903م بعد ما أدى امتحان المسابقة في القرآن الكريم، وعلوم اللغة والأدب والرياضيات، فكان أول الناجحين، واحتفظ بأوليته طوال سني الدراسة إلى حين تخرجه سنة 1908م[1].

أُرسِل في بعثة إلى إنجلترا لإتمام دراسته التربوية، وبعد عودته إلى مصر اشتغل بالتدريس في دار العلوم لمادتي التربية والصحّة المدرسية[2].

في مايو(مايس) سنة 1917م نُقِلَ مفتشاً إلى وزارة المعارف ثمّ رُقِّيَ إلى وظيفة كبير مفتشي اللغة العربية، وبقي بها حتى سنة 1940م، إذ نقل وكيلاً لدار العلوم وبقي فيها إلى أن أُحِيل إلى المعاش، وقد عُيّن عضواً بمجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ إنشائه سنة 1932م[3]، توفي علي الجارم في فبراير(شباط)1949 [4].

اشترك في تأليف عدد من الكتب التعليمية والثقافية منها:

1- النحو الواضح في قواعد اللغة العربية للمدارس الثانوية[5].
2- البلاغة الواضحة [6].
3- المنتخب من آداب العرب [7].
4- شرح ديوان البارودي [8].
5- المطالعة العربية[9].
6- البخلاء للجاحظ[10].

(2) ينظر: الجارم الشاعر: 29
(3) ينظر: الجارم الشاعر : 11
(4) ينظر: م.ن : 52 ، معجم الأعلام المورد ،155 .
(5) ينظر: مصادر الدراسة الأدبية: 247/2،ومعجم المؤلفين:109/7،والجارم الشاعر: 51
(6) بالاشتراك مع مصطفى أمين،دار المعارف بمصر،ط22 1965م
(7) أُلِف هذا الكتاب وفقاً للمنهاج الحديث الذي أقرته وزارة التربية بالاشتراك مع مصطفى أمين/دار المعارف بمصر،ط12، 1957
(8) لم أقف على هذا الكتاب في المكتبات التي رجعت إليها،ينظر: الجارم الشاعر: 53
(9) ينظر: الجارم الشاعر: 53
(10) ينظر: م.ن
(11) ينظر: البخلاء للجاحظ، تحقيق:علي الجارم،مطبعة دار الكتب،سنة 1938م

7- المعجم الوسيط [1].
8- ديوان شعر بثلاثة أجزاء [2].

نظرة في آثاره:

إن الناظر في مؤلفات علي الجارم اللغوية يجد أن أكثرها من النوع المدرسي؛ وذلك بحكم وظيفته، لكونه مفتشاً للغة العربية في وزارة المعارف، ومن هنا كانت عنايته بوضع كتبٍ لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية في النحو والصرف والبلاغة والأدب بالاشتراك مع بعض الأساتذة.

ويُعدّ الجارم من أبرز شعراء مصر في النصف الأول من القرن العشرين؛ فقد حفظ لمصر مكانتها الأدبية والشعرية بعد حافظ وشوقي، اشتهر بلقب شاعر العروبة بعد أن نظم العشرات من قصائده في مناسبات قومية.

ويرى الجارم أن للكتاب المدرسي ستة أنماط يقوم عليها، يدعمها معجم لغوي، وهذه الأنماط هي:

1- كتب القواعد النحوية مثل كتاب النحو الواضح.
2- كتب البلاغة مثل كتاب البلاغة الواضحة.
3- تاريخ الأدب العربي مثل كتاب المفصّل في تاريخ الأدب العربي.
4- الأعمال القصصية:مثل قصة الشاعر الطموح [3].
5- المختارات مثل المنتخب من أدب العرب.
6- عيون التراث العربي مثل كتاب البخلاء للجاحظ [4].

وما يهمنا هنا هو كتب القواعد النحوية مثل كتاب (النحو الواضح)، فهو كتاب يبحث في قواعد الصرف والنحو،جعله الجارم وزميلاه على حلقتين متكاملتين، لكلّ حلقة ثلاثة أجزاء للمرحلة الابتدائية،وثلاثة أخرى للثانوية.

والنسق العام للكتاب يقوم على تكامل الدروس المقدمة في نهاية كلّ مرحلة من خلال التمرينات التي وضعها الجارم في نهاية كل جزء.

شارك الجارم بوضع (المعجم الوسيط)، الذي أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1939م، مع اللجنة المكلّفة بكتابته، وهو يتألف من جزأين اثنين، مرتّباً على حروف الهجاء،وقد أقرّته اللجنة في تلك السنة، ولم يرَ النور إلا في سنة 1961م.

---

(1) قام بإخراجه:إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار،أشرف على طبعه:عبد السلام هارون،مطبعة مصر1961

(2) ينظر: معجم المؤلفين:109/7.

(3) وهي قصة كتبها علي الجارم صوّر فيها الساعات الأخيرة من حياة المتنبي.

(4) ينظر: علي الجارم رجل التربية والتعليم،،د.محمود فهمي حجازي،ندوات المجمع الثقافية،القاهرة2007،د.ط: ص4.

وبما أن مؤلفات علي الجارم كانت بالمشاركة مع غيره، فلا يمكننا نسبة ما فيها من آراء إليه وحده، فقد ننسب رأياً إليه وهو يعود لزملائه المشاركين معه في التأليف.

4-أحمد أمين:1886-1954م[1]

هو أحمد أمين إبراهيم الطبّاخ، ولد في 2/محرم/1304هـ، الموافق 11/أكتوبر(تشرين الأول)/1886م، في القاهرة، وكان والده أزهرياً مولعاً بجمع الكتب من تفسيرٍ وفقهٍ وحديث ولغة وأدب، فضلاً على كونه حافظاً للقرآن الكريم، ويعمل صباحاً مدرساً في الأزهر، ومدرساً في مسجد الإمام الشافعي، وإماماً للمسجد، كما كان يعمل مصححاً بالمطبعة الأميرية[2].

دخل أحمد أمين الكتّاب، وتنقل في أربعة كتاتيب، ثم دخل الابتدائية وأعجب بنظامها إلا إن أباه رأى أن يلحقه بالأزهر؛ ليدرس الفقه الحنفي، لأنه الفقه الذي يعدّه للقضاء الشرعي، قرأ الابن على أبيه عندما كان طالباً في الأزهر شَرحَ الآجرومية للشيخ خالد الأزهري، ثم كتاب قطر الندى وكتاب شذور الذهب لابن هشام، وشرح ابن عقيل على الألفية إلى جانب فقه اللغة للثعالبي[3]، والتحق بمدرسة القضاء الشرعي سنة 1907م، وهي مدرسة ذات ثقافة دينية ولغوية وقانونية عصرية وأدبية، تخرج منها سنة 1911م حاصلاً على الشهادة العالمية، فاختير معيداً في المدرسة ومن هنا تفتّحت نفسه على المعارف الجديدة، فصمم على تعلّم الإنجليزية وقد تعلمها بعد عناءٍ طويل [4].

شغل مناصب عدّة كان لها أثرٌ بارزٌ في بناء حياته الأدبية والثقافية، إذ عمل مدرساً للغة العربية في المدارس الابتدائية ثم معيداً للقضاء، ثم قاضياً في الواحات سنة 1913م، فمدرساً في مدرسة القضاء، ثم رئيساً للجنة الترجمة والتأليف والنشر، ثم أستاذاً بكلية الآداب سنة 1926م، وبعدها عميداً لها سنة 1939م، وبعد إحالته على التقاعد لبلوغه سن الستين عُرض عليه أن يكون مديراً للإدارة الثقافية في الجامعة العربية فقبل، و أنشأ معهداً للمخطوطات، ومتحفاً للثقافة [5].

بدأ اتصاله بالجامعة سنة 1926م، عندما رشحه د.طه حسين للتدريس في كلية الآداب، وآتت حياته العلمية ثمارها في الجامعة؛ لأن خطواته الأولى في البحث عن المنهج الحديث في موضوع(المعاجم اللغوية)، وهذه تعدّ تمهيداً لمشروعه البحثي عن الحياة العقلية في الإسلام التي أخرجت (فجر الإسلام [6] وضحاه [7] وظهره).

---

(1) ينظر في ترجمته: معجم أعلام المورد:66 ، والموسوعة العربية الميسرة:60/1، وأحمد أمين حياته وأدبه،عامر العقاد،المكتبة العصرية،بيروت،صيدا، 1971م:30، وحياتي: 22، والفكر اللغوي عند أحمد أمين،عبير مفكر(رسالة ماجستير)،إشراف أ.د.أحمد خطاب،5:2006-20 والنهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ، 1: 123.

(2) ينظر: حياتي:22

(3) ينظر: أحمد أمين حياته وأدبه:30

(4) ينظر: م .ن: 39

(5) ينظر: أحمد أمين حياته وأدبه:28-63، والموسوعة العربية الميسرة:60/1والفكر اللغوي عند أحمد أمين(رسالة ماجستير):5.

(6) طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية، ط14، 1987م، ولم أقف على تاريخ طبعته الأولى.

(7) دار الكتاب العربي ، بيروت- لبنان ،ط 10، 1964م، ولم أقف على تاريخ طبعته الأولى .

أشرف على لجنة التأليف والترجمة والنشر مدة أربعين سنة منذ إنشائها حتى وفاته، وقد كان لهذه اللجنة أثر بالغ في الثقافة العربية، إذ قدّمت للقارئ العربي ذخائر الفكر الأوروبي في شتى علوم المعرفة، كما قدّمت ذخائر التراث العربي مشروحة ومضبوطة.

أصبح عضواً في مجمع اللغة العربية سنة 1940م، بمقتضى مرسومٍ ملكي، وكان قد اختير قبل ذلك عضواً مراسلاً في المجمع العربي بدمشق منذ سنة 1926م، وفي المجمع العلمي العراقي، وبعضويته في المجامع ظهرت قدرته على المشاركة في خدمة اللغة العربية [1].

أصيب قبل وفاته بمرض في عينيه ثم في ساقه، لذلك كان لا يخرج من منزله إلاّ للضرورة، ورغم ذلك فهو لم ينقطع عن التأليف والبحث حتى توفاه الله في 27/رمضان/1373هـ الموافق 30/مايو-مايس/1954م[2].

أمّا أهم آثاره فهي:

1- فجر الإسلام[3].
2- ضحى الإسلام[4].
3- ظهر الإسلام[5].
4- فيض الخاطر[6].
5- حياتي [7]

نظرة في آثاره

ينبغي التركيز في هذا المحور على فكر أحمد أمين اللغوي، إذ ترك مؤلفات ضخمة منها ما وضعه بنفسه، ومنها ما شاركه غيره في تأليفها، فضلاً على المخطوطات التي قام بتحقيقها، وعملنا يقتصر على مؤلفاته اللغوية فحسب؛ لكونها على صلة وثيقة ببحثنا، ولأجلها كان لأحمد أمين مكانٌ منفردٌ في عملنا.

أما سبب اهتمام أحمد أمين وعنايته بعلوم العربية فهو نشأته الأولى على يد والده، ثم دراسته في الأزهر، وقد بدأت فكرة التأليف عنده عندما كانت أولى خطواته هو البحث عن المعجمات اللغوية – كما ذكرنا سابقاً-،وسار في طريق البحث في الحياة الإسلامية ودراستها من نواحيها العقلية سنينَ طويلة، إذ أخرج بعدها سلسلته الرائعة (فجر الإسلام وضحاه وظهره).

---

(1) نظر: أحمد أمين حياته وأدبه: 59.
(2) ينظر: م . ن: 162، ومعجم أعلام المورد:66.
(3) ينظر: معجم أعلام المورد:66،أحمد أمين حياته وأدبه:82.
(4) ينظر: المصدران السابقان.
(5) ينظر: المصدران السابقان.
(6) مكتبة النهضة المصرية/القاهرة،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،ط3 /1958م،وينظر:معجم أعلام المورد:66، وأحمد أمين حياته وأدبه:83.
(7) مكتبة الأسرة برعاية السيدة سوزان مبارك ، 2003 ، 2، وينظر: احمد أمين:حياته وأدبه ، 82

فاجأ أحمد أمين الناس بمنهجه الجديد في البحث في مؤلفاته السالفة الذكر، وفي أسلوبه ونتائجه، فقد أبدى آراءً في تحليله للحياة العقلية للأمة الإسلامية لم يبدها قبله أحد، ولذلك فقد عدّ الأستاذ عباس محمود العقاد[1] مدرسة أحمد أمين مدرسة المحافَظَة المُجَدِّدة، وهي مدرسة بين القديم والحديث.

ويلاحظ على هذه المدرسة الاعتدال بين الجمود والشطط، ولكنها قد تغلو مع الحرية الجديدة كما يغلو المرء مع كل جديد[2].

في كتاب (ضحى الإسلام) عرض أحمد أمين رأيه في نشأة الدراسات اللغوية وتقسيمه للمراحل الثلاث[3]، التي جمعت بها اللغة، فهو يرى أن المرحلة الأولى هي مرحلة جمع الكلمات كيفما اتفق فالعربي يسمع لكلمة هنا وأخرى هناك فيدونها من غير ترتيب إلا ترتيب السماع، والمرحلة الثانية هي جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة وضع معجم يحوي كل الكلمات العربية على ترتيبٍ خاص.

وقد أيّده في تقسميه لتلك المراحل د.حسين نصّار متفقاً معه في كون هذه الفكرة معقولة وتسلسلها صحيحاً مشترطاً أن تنشا هذه الأبحاث منفردة لا تتصل بأي نشاط آخر مع أن الآثار الباقية تنكر هذا الانفراد؛ لكون أول الأبحاث اللغوية يدور حول ما عرف فيما بعد باسم غريب القرآن[4].

ورغم اتفاق د حسين نصار مع أحمد أمين في تقسيمه ذلك إلاّ أنه يختلف معه في كثيرٍ من تفصيلاته، ويقول إن لديه خلطاً في المرحلة الأولى، وعدم وجود فواصل كبيرة بين مرحلةٍ وأخرى، فضلاً على عدم تميّز كلّ مرحلة تماماً[5]، وبذلك تكون فكرة التسلسل معقولة صحيحة نظرياً لا عملياً[6].

أمّا كتابه الآخر الذي أطلق عليه (فيض الخاطر)،فهو مجموعة مقالات نشر بعضها في مجلة (الرسالة)، وبعضها في مجلة (الهلال)، وجمعت هذه المقالات فأصبحت كتاباً يتكون من عشرة أجزاء، ونجد في هذا الكتاب موضوعات تتعلق باللغة منها ((أسباب الضعف في اللغة))[7]، اللغة))[7]، و((التقليم والتطعيم في اللغة)) [8]، و((مدرسة القياس في اللغة)).

---

(1) وهو:عباس بن محمود بن إبراهيم العقّاد (1889-1964م)أديب ،مصري،من المكثرين كتابة وتصنيفاً،ظل اسمه لامعاً مدة نصف قرن،أخرج خلالها (83)كتاباً في مختلف أنواع الأدب الرفيع،ينظر: الأعلام:266/3،ومعجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة2002: 93/2.

(2) ينظر: محاضرات عن أحمد أمين، د.زكي المحاسني،معهد الدراسات العربية العالية،1963م:186.

(3) ينظر: ضحى الإسلام:2 /263-265.

(4) ينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره:35/1.

(5) ينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره:35/1.

(6) ينظر: م . ن.

(7) ينظر: فيض الخاطر:2 /305-317.

(8) ينظر: م .ن:3 /125-130.

ويرى د.شوقي ضيف، أن أحمد أمين يمتلك خصالاً فذّة [1]، تميّز شخصيته، وأولى هذه الخصال هي:

1. تعمقّه في الثقافات القديمة والحديثة تعمقاً أتاح له فهم الأفكار ونقدها وتحليلها.
2. أما الخصلة الثانية فهي التعميم والتنظيم؛ لأن لديه قدرة على استخلاص الأفكار الكليّة التي تجمع الجزء إلى الجزء، والعنصر إلى العنصر، فإذا الكل يستوي قائماً والفكرة واضحة.
3. أما الخصلة الثالثة فهي خصلة الحرية العقلية، فهو يجهر بالحقّ صراحة دون أي تكلف.
4. وخصلة أخرى هي عدالته في الحكم على الأشخاص والآراء اكتسبها من مدرسة القضاء الشرعي.
5. وخصلة أخيرة هي خصلة الطموح إلى تحقيق المثل الأعلى في البحث والدراسة، وهي خصلة دفعته إلى كفاح علمي عنيف.

وبهذه الخصال استطاع أحمد أمين أن يفرض كتبه (فجر الإسلام وضحاه وظهره) على كلّ من يعنون بدراسة الفكر العربي الإسلامي.

5-سلامة موسى:(1887- 1958م**)** [2]

ولد سلامة موسى سنة 1887م، في قرية كفر العفي، وهي تبعد سبعة كيلومترات عن مدينة الزقازيق بمصر، لأبٍ قبطي يعمل موظفاً بالحكومة، وسرعان ما توفيَ بعد عامين من مولد ابنه[3].

ابنه[3].

التحق سلامة بمدرسة قبطية ثم بالمدرسة الابتدائية بالزقازيق حتى حصوله على الابتدائية، انتقل بعدها إلى القاهرة إذ التحق بالمدرسة التوفيقية ثم المدرسة الخديوية، وحصل على شهادة الثانوية سنة 1903م.

سافر إلى فرنسا سنة 1906 وقضى بها عاماً درس خلالها اللغتين الفرنسية والإنكليزية واختلط بأوساط المثقفين الفرنسيين، وأثار إعجابه الاهتمام الغربي بدراسة علوم المصريات الخاص بالحضارة الفرعونية، وبعد أن عاد إلى القاهرة أصدر كتاب (مقدمة السوبرمان) سنة 1910م، تضمن أفكاره التي ركّزت على ضرورة الانتماء الكامل للغرب، وقطع أي صلة تربط مصر بالشرق، كما تضمن هجوماً على فكرة الدين والإيمان بالغيب، وأورد فصلاً تحت عنوان (نشوء فكرة الله).

جحد الديانات في شبابه وعاد إلى الكنيسة في سن الأربعين،قام بحملة على الصحافة اللبنانية في مصر، ونشرت دار الهلال رسائل بخطه تثبت أنه كان عيناً للحكومة آنذاك.

---

(1) ينظر:مقالة ضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين،د.شوقي ضيف، مجلة تراث الإنسانية،تصدر عن وزارة الثقافة والإرشاد المصري،مج 1/ج123/2.

(2) ينظر في ترجمته: الأعلام: 107/3، ومعجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002م: 56/3

(3) نظر: الأعلام:107/3.

وهناك عدّة عوامل أسهمت في تشكيل فكر سلامة موسى، منها تأثره ببعض الأفكار التي تبنّاها بعض المسيحيين، والتي عبّرت عن رفض الدين والإغراق في المادية، وكان تأثره الأكبر بـ ((شبلي شميّل))[1]، الذي يعدّ من أوائل ممثلي الاتجاه الإلحادي في العالم العربي.

وتأثر أيضاً بأفكار ((أحمد لطفي السيّد)) [2]، التي دعا فيها إلى تحديد مفهوم جديد للشخصية المصرية يستند إلى أساس يختلف عن الرابطة الشرقية والدينية، ومن أهم طروحاته الدعوة إلى الفرعونية كأساس لانتماء المصريين، ودعا إلى اللغة العامية بدلاً من اللغة العربية الفصحى؛ وذلك لإنهاء الازدواج في اللغة عند المصريين -كما يقول-.

ونظراً إلى منهج فكر سلامة موسى الذي كان مناهضاً لفكرة الدين، معتبراً إيّاها السبب في تخلف الشرق، فقد استتبع ذلك أن يتخذ موقفاً مناهضاً للغة العربية، حيث دعا إلى العامية بدلاً من الفصحى، وتوحيد لغة الكلام، ودعا لكتابة اللغة العربية بالحرف اللاتيني –كما سيأتي ذلك لاحقاً في الفصل الرابع-، ففي كتابه "البلاغة العصرية واللغة العربية"[3]، طالب بأن تكون اللغة متطورة، متمدنة، وتتسع لكافة العلوم والفنون التي لم يعرفها العرب[4].

والقارئ لمؤلفات سلامة يتعرّف على فكره الذي كان يتّسم باستسلامه الحضاري لكلّ معاني التطور والحضارة، بما يدفعه للتنصّل من الهوية العربية.

وقد أثارت أفكاره حفيظة القرّاء، فجعلت الكثير ينفرون منه ومن مشروعه الفكري، فقد كان كثير التجني على التراث العربي، ومن مناصري بدعة الكتابة إلى اللاتينية[5]، ألّفَ طول رحلته في عالم التأليف والنشر أربعين كتاباً[6].

مات في أغسطس(آب) سنة 1958م في القاهرة[7]، تاركاً وراءه آثاراً منها:

1- حرية الفكر وأبطالها في التاريخ[8]
2- نظرية التطور وأصل الإنسان[9].

---

(1) شبلي شميّل (1853-1917م)طبيب لبناني،عربي،هاجر إلى مصر وفيها أصدر مجلة الشفاء،عرف بحماسته لنظرية دارون ودعوته إلى الأخذ بها،ينظر: معجم أعلام المورد:262،ومصادر الدراسة الأدبية:497/2

(2) أحمد لطفي السيّد (1872-1963م) مفكر وفيلسوف عربي، رائد من رواد الحركة الوطنية،عيّن عضواً بمجمع اللغة العربية 1940م، فرئيساً له، أسهم في عدّة جمعيات ومجامع علمية، ينظر: الموسوعة العربية الميسرة:62/1

(3) تأليف سلامة موسى، دار سلامة موسى للنشر والتوزيع/ القاهرة،مطبعة التقدم ،د.ت.

(4) ينظر: البلاغة العصرية واللغة العربية:144.

(5) ينظر: الأعلام: 108/3، ومعجم الأدباء حتى 2002: 3/ 56.

(6) ينظر: المصدران السابقان.

(7) ينظر: م . ن.

(8) ينظر: م .ن.

(9) ينظر:م.ن.

3- التجديد في الأدب الإنجليزي الحديث[1].
4- اليوم والغد[2].
5- التثقيف الذاتي[3].
6- البلاغة العصرية واللغة العربية[4].
7- تربية سلامة موسى[5].
8- الأدب والحياة سنة 1956م[6].
9- أحلام الفلاسفة[7].

نظرة في كتاب البلاغة العصرية واللغة العربية

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1945م،ثم صدر في طبعات متعددة[8].

أهدى سلامة موسى كتاب البلاغة العصرية إلى الأستاذ أحمد أمين؛ لأنه – كما يقول- هو الذي أوحى إليه به من حيث لا يدري.

من مقدمة الكتاب نعرف مضمونه فهو يصرّح بتأخرنا اللغوي والاجتماعي، إذ يقول((إنّ تأخرنا اللغوي في مصر هو سبب من أعظم الأسباب لتأخرنا الاجتماعي))[9].

ثم انتقد معلمي اللغة العربية واصفاً إياهم بأنهم يحاولون إحياء الميت من الكلمات التي كان يجب عليهم دفنها، وأيضاً هاجم عقلية المصريين ويدّعي بأنها قديمة، جامدة، متبلّدة، تنظر إلى الماضي؛ لأنهم مازالوا يعيشون بكلمات الزراعة ولم يعرفوا بعد كلمات الصناعة [10].

ويستمر في هجومه وتجنيه على العرب المسلمين خاصة، فهو يعيب على الكتّاب أنهم يعتنقون الفكر السلفي، ويرى أن العقّاد ليس وحده سلفياً، بل إن 99% من كتّابنا سلفيون ويقول إن سبب هذه السلفية جاء لحرمان الأمة من الرقي الصناعي وقصرها على الزراعة[11].

ولا يعني بالسلفي المذهب أو الحركة لفهم الدين من خلال الرجوع إلى تعاليم الإسلام في القرون الثلاثة الأولى وإنّما يعني بها التمسّك بالتراث العربي الإسلامي كلّه، فهو يرى أن ذلك تأخر وتخلّف، وهو سبب كل التأخر الذي يعانيه العرب.

---

(1) ينظر: م .ن.
(2) ينظر: م.ن.
(3) ينظر: م . ن.
(4) ينظر: الموسوعة العربية الميسرة: 994/1.
(5) ينظر: الموسوعة العربية الميسرة:1 /994.
(6) ينظر: م . ن.
(7) ينظر: م . ن.
(8) الطبعة الثانية قد صدرت في سنة 1953م،والثالثة 1958م، وهذه التي بين أيدينا هي الرابعة،وصدرت سنة1964م.
(9) البلاغة العصرية واللغة العربية: 7.
(10) ينظر: م . ن: 8.
(11) ينظر: م . ن:9.

وسبب تأليفه للكتاب أنه أراد الوصول بالقارئ إلى تصورٍ جديد للغة من حيث نشأتها، وتكونها إلى نضجها، وما تحمله من رواسب تاريخية- برأيه- قد تعود بالضرر؛ لأنها كانت تخدم مجتمعاً فضائله قليلة؛ لكونه يتسم بالجريمة، وكذلك ليدرس بعض الإصلاحات المقترحة مثل إلغاء الإعراب واتخاذ الخط اللاتيني، وسبب أخير هو بيانه عيوب لغتنا العربية وإرهاقها للمتعلّمين بالمقارنة مع اللغة الإنجليزية [1].

وإذا ما قلّبنا صفحات الكتاب إلى آخره فسنجد بين صفحاته دعوات لهدم صرح هذه اللغة مثل الدعوة إلى الكتابة باللاتينية[2]، والدعوة إلى التيسير الذي يلغي الإعراب [3].

أضاف سلامة موسى فصلاً إلى الكتاب في الطبعة الثانية منه التي صدرت سنة 1953م أسماه ((علاقة اللغة بالجريمة والجنون))[4]، تضمن حديثا عن كيفية استعمال اللغة وتوظيفها توظيفاً سليماً، فعلى قدر كلمات الفضائل في لغتنا نكون فضلاء وبعكسه أي: على قدر كلمات الرذيلة نكون أرذالَ، فأعظم ما تحتاج إليه أمة ما كي ترتقي وتقل أمراضها وجرائمها هو العمل لترقية لغتها وتنقيتها، ووضع الكلمات الجديدة التي تزيد الإحساس بالفضائل[5]، وباختصار فالقصد من وراء هذا الفصل هو وجود كلمات في لغتنا تؤدي إلى جرائم.

وهو بهذا الفصل نجده نأى بفكره بعيداً، وبالغ كثيراً في الحوادث التي سردها، فمن غير المعقول أن يقتل أخ أخته؛ لسبب رؤيته إياها تحادث غريباً، وإن كان هذا الأخ من الصعيد[6]-على حد تعبيره-، وأن تجن سيدة لأن الطبيب قال لها أنها وصلت سن اليأس[7].

ونرى أن خير من ردّ عليه هي عائشة عبد الرحمن[8] بقولها((...وأرى الكاتب نسى هنا بلاغة الأرقام فلم يحاول أن يقدّم لنا إحصائية عن عدد المجنونات من نساء مصر، لمجرد سماعهن كلمة سن اليأس، كما نسي أن الجمهرة الغالبة من نساء الشعب المصري يمضين عمرهن كله دون أن يسمعن كلمة سن اليأس من طبيب معالج أو يفقهن دلالتها...بل نسي كذلك أن كل لغات الدنيا فيها كلمات الفضائل والرذائل، وفيها كلمات المنطق والخبال، وليست العربية بدعاً بين اللغات لتستجيب إلى دعوة الأستاذ سلامة موسى فتلغي من معجمها كلمات الرذائل والجريمة والخبال، ولا تبقى فيها إلا كلمات الفضيلة والمنطق، هذا لنكون شرفاء مهذبي السلوك...ولو صحّ ما ذهب إليه من أن إسقاط هذه الكلمات من معجم لغتنا يخلص مجتمعنا من أمراض الجنون والإجرام لكان المجتمع

(1) ينظر: البلاغة العصرية واللغة العربية: 10،11.
(2) ينظر: م . ن:143.
(3) ينظر: م . ن: 147.
(4) ينظر: م . ن: 59-65.
(5) ينظر: م.ن: 63-64.
(6) ينظر: م . ن: 60.
(7) ينظر:م . ن: 61.
(8) لغتنا والحياة،عائشة عبد الرحمن،دار المعارف بمصر،1971،ص116-117.

الأمريكي أحوج منا إلى هذا الإجراء اللغوي؛ لينجو مما يشكوه من انتشار الجرائم والأمراض العقلية والنفسية)).

6- إبراهيم مصطفى (1888-1961م)[1]

ولد عام 1888م، دخل الأزهر، ثم دار العلوم، وعيّن مديراً بالمدارس الثانوية، ثمّ مفتّشاً للغة العربية، فأستاذاً بالجامعة [2].

درّس الأدب العربي في جامعة الإسكندرية، ثم أصبح رئيساً لقسم اللغة العربية، ثم وكيلاً لكليّة الآداب بالجامعة نفسها، ثم عيّن في سنة 1947م عميداً لكلية دار العلوم [3].

كان عضواً بالمجمع اللغوي، واشتهر ببحوثه في النحو، فأصدر كتاب((إحياء النحو))[4] الذي يعدّ من أشهر كتب النحو في وقته؛ لكونه يحمل نظرية جديدة في النحو كانت محل أخذٍ وردّ في البلاد العربية طوال عشرين عاماً بعد صدوره، فقد حاول فيه تسهيل النحو والتخفيف من علل النحاة وتأويلاتهم البعيدة[5].

اشترك في مراجعة (المعجم الوسيط) الذي صدر عن مجمع اللغة العربية، كما اشترك في لجان تيسير النحو بوزارة التربية والتعليم، وفي وضع مناهج كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، وشارك في تحقيق سرّ صناعة الإعراب لابن جني،وإعراب القرآن للزجّاج.

---

(1) ينظر في ترجمته: الموسوعة العربية الميسّرة:5/1،ومعجم أعلام المورد:15، والمعجم المفصّل في اللغويين العرب،إعداد:إميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،د.ت:22/1، والموسوعة الميسّرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد:وليد بن أحمد الزبيري وآخرين،د.ط، ط1، 2003م: 109/1.

(2) ينظر: الموسوعة العربية الميسرة: 5/1.

(3) ينظر: معجم أعلام المورد:15،والمعجم المفصل في اللغويين العرب:22/1.

(4) إبراهيم مصطفى، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط2- 1992م، لم أقف على طبعته الأولى.

(5) ينظر: الموسوعة العربية الميسّرة: 5/1،ومعجم أعلام المورد:15، والمعجم المفصّل: 22/1.

توفي سنة 1961م[1].

نظرة في كتاب (إحياء النحو)

طبع هذا الكتاب في سنة1937، أمّا طبعته الثانية فكانت بعد وفاته في سنة 1992م، وهي الطبعة التي بين أيدينا.

قام د. طه حسين بكتابة تقديم للكتاب، بلغ أربع عشرة صفحة، استهلّه بأنه كتاب جديد على الناس، وأنهم سيتلقونه بغير ما تعوّدوا عليه من الدعّة والهدوء، وأنّ كثيراً منهم سيتجاوزون ضيقهم به إلى الخصومة العنيفة والإنكار له، لكون هذا الكتاب يخالف كثيراً مما ألفه الناس [2].

وتتلخّص فكرة إحياء النحو في عدّة محاور هي:

1. نقد النحويين في قصرهم مباحث النحو على الإعراب والبناء دون البحث في خصائص الكلام من تقديم وتأخير ونفي واستفهام وغيرها[3].
2. الردّ على النحاة في زعمهم أن الإعراب أثر لفظي لا يؤدي معنى، وإثبات أن حركات الإعراب دوالٌ على معان، فالضمة عَلَم الإسناد، والكسرة عَلَم الإضافة، والفتحة عَلَم الخفّة، أو ليست علامة إعراب[4].
3. نقد النحاة في زعمهم أن الحركات اجتلبها العامل[5].
4. إثبات أن التنوين عَلَم التنكير [6].

وأخذ إبراهيم مصطفى على علماء النحو الأوائل أنهم لم يفردوا أبواباً مستقلّة للإثبات والنفي والتأكيد والتوقيت والتقديم والتأخير، فالنفي كثير الدوران في الكلام، وفي مختلف أساليب اللغة العربية، إذ يُنفى بالحرف وبالفعل وبالاسم، وقال: كان جديراً بالعلماء أن يدرسوه منفرداً ؛ لنتعرّف على خصائصه، ونميّز أنواعه وأساليبه، ولكن النفي درِّس مفرَّقاً على أبواب الإعراب، وعلى حدِّ تعبيره، ممزَّقاً[7].

قسّم المؤلف الكتاب إلى فصول، وإن لم يسمها فصولاً، بدأها بتقديم للكتاب ومقدمة ثم حدَّ النحو كما رسمه النحاة، ووجهات البحث النحوي كعناية العرب بالإعراب،وأصل الإعراب مقسّماً هذا الموضوع إلى أقسام بدأها بأصل الإعراب عند النحاة، وفلسفة العامل، ونقد مذهب النحاة في العامل، ثم رأي المستشرقين في أصل الإعراب، ثم موضوع معاني الإعراب، ثم تطرّق إلى الضمة علم الإسناد، والكسرة علم الإضافة، والفتحة ليست علامة إعراب، ثم موضوع العلامات

---

(1) ينظر: المصادر نفسها.
(2) ينظر: إحياء النحو: تقديم الكتاب:صفحة ج.
(3) ينظر: م .ن: ص2-9.
(4) ينظر: م . ن: ص 22-101.
(5) ينظر: م.ن: ص108-164.
(6) ينظر: م .ن: ص 165-193.
(7) ينظر: م .ن: 4.

الفرعية للإعراب، والتوابع، ثم أكمل البحث بمواضع أجاز فيها النحاة وجهين إعرابيين، ثم أخيراً موضوع الصرف، فخاتمة للكتاب تضمنت الخاتمة أهم ما جاء في الكتاب من أفكار وآراء، ومن أهم أفكاره التي طرحها في الخاتمة هي حرصه على الإيجاز، وإيثاره أن يكون هذا البحث خاصاً بإعراب الاسم؛ لأن ذلك –برأيه- أدنى إلى بيانه، وأبعث على درسه، وأن إعراب الاسم يقوم منفرداً مستقلاً في بحثه، ولكي ينتفع أثناء عرضه لدرس الفعل من نقد الناقدين[1].

ومن أهم أفكاره في الخاتمة والنتائج التي خرج بها هو الدعوة إلى تخليص النحاة وعامة الناس من نظرية(العامل) تلك النظرية العتيدة، كما يقول، إذ تمثّل فلسفة خاصة وأفرد لها بالتأليف مكاناً[2].

وقد ردّ بعض الباحثين على إبراهيم مصطفى بردود من أبرزها كتاب ((النحو والنحاة بين الأزهر و الجامعة))[3].

7- الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (1900-1972م)[4]

في تاريخنا الطويل رجال شوامخ، وعلماء موسوعيون، لا يكثرون في كلّ جيل، وإنما يظهرون على فترات متتابعة من التاريخ، ومن هؤلاء الرجال أبو رجاء الشيخ محمدّ محيي الدين عبد الحميد بن إبراهيم المنذري[5].

ولد في قرية كفر الحمام بمحافظة الشرقية، سنة 1318هـ الموافق 1900م، ونشأ في كنف والده العالم الأزهري، فدفع به إلى من يحفظّه القرآن، ويعلّمه القراءة والكتابة، وعندما انتهى من دراسته الأوليّة الابتدائية التحق بمعهد دمياط الديني، ثم انتقل إلى معهد القاهرة بانتقال والده إليها لتقلد منصب المفتي بوزارة الأوقاف، وظلّ بالأزهر حتى حصوله على شهادة العالمية النظامية مع أول فرقة دراسية تنال هذه الدرجة سنة 1925م[6].

بدأت مواهب الشيخ تتّضح، فقد كان لنشأته في بيت علمٍ وفقه أثرها في نفسه، حيث تاقت نفسه إلى أن يكون مثل رجال العلم الذين يجتمعون مع أبيه، ويتطارحون مختلف مسائل اللغة والحديث والفقه، فأكبّ على القراءة والدرس، وهو يمتلك نفساً دؤوبة، وذاكرةً قوية، وهمةً عالية، فقام بشرح مقامات بديع الزمان الهمذاني شرحاً مسهباً، مفسّراً الإشارات الأدبية والتاريخية، وقام بنشر عمله ذاك وهو لا يزال طالباً، وصدّر شرحه بإهداء إلى والده اعترافاً منه بفضله.

---

(1) ينظر: إحياء النحو:193.

(2) ينظر: م.ن: 195.

(3) بقلم: محمد أحمد عرفة ،1937،د.ط.

(4) ينظر في ترجمته: الأعلام: 92/7،والمعجم المفصل للغويين العرب: 224/2، مدخل إلى نشر التراث العربي:70-71، والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد وجهوده النحوية في تحقيقاته لشروح الألفية،(رسالة ماجستير)،كريم ذنون داود سليمان،جامعة الموصل/كلية الآداب،إشراف أ.د.محيي الدين توفيق إبراهيم،2001م:ص4.

(5) ينظر: الأعلام: 92/7.

(6) ينظر: م.ن،و المعجم المفصل للغويين العرب: 224/2،والشيخ محمد محي الدين عبد الحميد وجهوده النحوية:4 .

عُيِّن بعد تخرجه من معهد القاهرة وحصوله على شهادة العالمية النظامية مدرساً في معهد القاهرة، وعندما أنشئت كليات الجامع الأزهر اختير للتدريس بكلية اللغة العربية سنة 1931م، وما إن مضت عليه أربعَ سنوات حتى اختير للتدريس بتخصص المادة لطلبة الدراسات العليا، وكان ذلك سنة 1935م، وزامل كبار أساتذته مزاملة مثمرة، وتجاوزت شهرته جدران الكلية[1].

أُعِير إلى السودان عندما أنشئت دراسة في الحقوق بكلية جوردون، استعانت به الحكومة السودانية ليشترك في وضع مناهج للعلوم الشرعية سنة 1940م، وعاد إلى مصر

سنة 1943م، ثمّ عيّن سنة 1946م مفتشا بالمعاهد الدينية ومكث بهذه الوظيفة نحو أربع سنوات حتى اختير مديراً لتفتيش العلوم الدينية والعربية بالجامع الأزهر، ثم في سنة 1954م تقلّد عمادة كلية اللغة العربية، وظل شاغلاً لهذا المنصب العلمي مدة خمس سنوات، وفي سنة 1959م تولّى التدريس بكلية أصول الدين، ثم عاد في سنة 1964م ليتولى منصب العمادة ثانية إلى أن بلغ سن التقاعد سنة 1965م [2].

اختير في لجنة الفتوى بالأزهر، وتولى رئاستها، واختير عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1964م، ثم تولى لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، فضلاً على كونه عضواً في مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف[3].

قامت شهرته على جهوده في إخراج كتب النحو وشرحها وإظهارها في أحسن

صورة، فحقق شرح الآجرومية[4]، وقطر الندى[5]، وشذور الذهب[6]، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك[7]، وشرح ابن عقيل على الألفية [8]، ومغني اللبيب[9]، وشرح الأشموني[10]،

(1) ينظر: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد وجهوده النحوية:5، ومجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ماضيه وحاضره:196/2

(2) ينظر: الشيخ محمد محيي الدين وجهوده النحوية:5

(3) ينظر: م .ن نقلاً عن مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة،188/32لسنة 1974.

(4) شرح مقدمة ابن آجروم(ت723هـ)وأسماه التحفة السنية،طبع في القاهرة،مطبعة محمد علي صبيح وأولاده .

(5) شرح قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام الأنصاري(ت761هـ)دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ط3 ،د.ت.

(6) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب،لابن هشام الأنصاري،المكتبة العصرية،صيدا،1988م

(7) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:لابن هشام الأنصاري،مطبعة السعادة بمصر،ط5 1967

(8) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:ابن عقيل الهمذاني، تحقيق:محيي الدين عبد الحميد،ط2،د.ط،د.ت.

(9) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري،المكتبة العصرية،صيدا،بيروت ، 1987م.

(10) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: مكتبة النهضة العصرية،دار الاتحاد العربي للطباعة،ط3، د.ت.

والإنصاف في مسائل الخلاف[1].

وهو في كلّ ذلك لم يكن نحوياً فحسب، بل كتب وحقق في أكثر الفنون الذائعة الصيت بين الدارسين، فقد حقق في الفقه كتاب الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية مع الإشارة إلى مقابلها في الشرائع الأخرى[2]، وفي أصول الفقه حقق المسودة لابن تيمية، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول لأبي سعيد ناصر الدين الشيرازي[3]، وفي الحديث حقق شرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث[4]، وفي مجال التاريخ الإسلامي حقق تاريخ الخلفاء للسيوطي الذي طبعت أولى طبعاته بمطبعة السعادة 1952 [5]، وهو يعدّ من أوائل من عني بكتب التراث وتحقيقها. ومع كبر سنه ومرضه ومسؤولياته في المناصب التي تولاها، وعضويته في المجمع، إلاّ أنها لم تثنه عن مواصلة طريقه حتّى لقي ربه في 25/من ذي القعدة/1392هـ الموافق 30/ديسمبر (كانون لأول)/1972م[6]، تاركاً وراءه إنتاجاً علمياً خصباً لا يزال ينتفع به الدارسون وينهل من معينه أكثر القارئين.

نظرة في بعض آثاره المحققة

يعدّ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد من محبي اللغة العربية، المتفانين في خدمتها، وهذا نابع من حبّه لدينه وأمته الإسلامية.

من آثاره التي حققها وشرحها كتاب (شرح ابن عقيل)، الذي ألفه بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري[7]، على ألفية ابن مالك، وهو من الآثار المشهورة التي عرفها طلبة العلم والعلماء على اختلاف مشاربهم.

يقول المحقق في المقدمة إننا لا نجد مؤلفاً نال الحظوة والإقبال على تصانيفه قراءة وإقراءً وشرحاً وتعليقاً مثل أبي عبد الله جمال الدين ابن مالك[8]، فهو صاحب التآليف المفيدة، والتصانيف الممتعة، وأفضل من كتب في علوم العربية من أهل طبقته، فهو أقدرهم استشهاداً لما يرى من الآراء

بكلام العرب[9].

---

(1)لإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: لأبي البركات الأنباري،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،د.ت.

(2) ينظر: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً:197/2.

(3) ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية:186/32،نقلاً عن الشيخ محمد محيي الدين وجهوده النحوية:10.

(4) ينظر: م . ن: 11. (11) ينظر: الشيخ محمد محيي الدين وجهوده النحوية: 12.

(5) ينظر:مجلة مجمع اللغة العربية،ج31لسنة1973م ص232،والشيخ محمد محيي الدين وجهوده النحوية:18.

(6) الأعلام: 92/7،والمعجم المفصل للغويين العرب: 224/2، مدخل إلى نشر التراث العربي:70-71، والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد وجهوده النحوية(رسالة ماجستير):ص4.

(7) وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي،بهاء الدين ابن عقيل المصري،له شرح ألفية ابن مالك في النحو ،وقد ترجم مع الألفية إلى الألمانية،مولده ووفاته في القاهرة(769هـ)،ينظر:الأعلام:96/4.

(8) وهو محمد بن عبد الله بن مالك العلاّمة أبو عبد الله الطائي الشافعي،إمام النحاة وحافظ اللغة، كان إماماً في القراءات وعللها،توفي سنة 672هـ،ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،،جلال الدين السيوطي،، دار المعرفة،بيروت،د.ت:ص53.

(1) ينظر:شرح ابن عقيل:5/1 مقدمة الطبعة الأولى.

وللألفية شروح كثيرة عددها الشيخ محمد محيي الدين، وهي أكثر من أن يتسع المقام لذكرها، وأكثر هذه الشروح لأكابر العلماء ومبرّزيهم، ومن هؤلاء الشرّاح قاضي القضاة ابن عقيل الهَمْداني.

ويبدأ الشيخ محمد محيي الدين يشرح طريقة ابن عقيل في شرحه للألفية، فيقول: إنه سلك طريقاً وسطاً بين الإيجاز والإطناب، فهو لم يعمد إلى الإيجاز حتى يترك بعض القواعد المهمة، ولم يقصد إلى الإطناب، فيجمع من هنا وهنا، ويبيّن جميع مذاهب العلماء، ووجوه استدلالهم، ولم يتعسّف في نقد الناظم بحقّ أو بغيره، كما لم ينحز له بحيث يوافقه في كلّ شيء[1].

ثم يبيّن منهجه في تحقيق هذا الكتاب بقوله ((...فاكتفيت بما لابدّ منه من إعراب أبيات الألفية، وشرح الشواهد شرحاً وسطاً بين الاقتصار والإسهاب، وبيان بعض المباحث التي أشار إليها الشارح وأغفلها بتّة في عبارة واضحة وفي إيجازٍ دقيق، والتذييل بخلاصة مختصرة في تصريف الأفعال، فإن ابن مالك قد أغفل ذلك في ألفيته، ووضع له منظومة خاصة سمَّاها (لاميّة الأفعال)))[2].

وقد وفق الشيخ في تصحيح المخطوطة تصحيحاً دقيقاً، فالنسخ التي بين أيدي الناس- رغم كثرتها، وتعدد طبعها- ليس فيها نسخة بلغت الإتقان حداً ينفي عنه الريب، ففي بعضها زيادة وفي البعض الآخر نقصان وتفاوت في التعبير، وقد جمع الشيخ اثنتي عشرة نسخة مختلف زمان طبعها ومكانه، فاستخلص من بينها أكملها بياناً، وأصحّها تعبيراً، فجاءت خير ما أخرج للناس من مطبوعات هذا الكتاب[3].

وقد شمل شرح ابن عقيل جميع أبواب النحو بدءاً من الكلام والكلمة وما يتألف منها والمعرب والمبني، والنكرة والمعرفة وانتهاءً بالنداء والممنوع من الصرف وغيرها من أبواب النحو المختلفة.

أما الكتاب الآخر وهو أيضاً من شروح الألفية وهو كتاب (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، لابن هشام الأنصاري، ومعه كتاب هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء، قدّم الشيخ له بأنه شرح وسيط، قصد به ((تقريب مباحثه، وإيضاح مشاكله، وتيسير شواهده، وتسهيل مراجعته، فجمعت شذوراً مما كنت كتبته عليه أيام كلّفت دراسته منذ ثلاثين عاماً، جانبت فيها الإفراط والتفريط، واكتفيت فيها باللمحة الدالّة، والإشارة المفهمة...))[4].

---

(2) ينظر: م . ن:8.
(3) شرح ابن عقيل: 1/9،8.
(4) ينظر: شرح ابن عقيل: 1/9
(5) أوضح المسالك: 1/4 المقدمة

وقد اعتنى المحقق في شرحه هذا بشرح شواهد الكتاب وإعرابها إعراباً واضحاً، وكذلك تخريجها، وذكر ما للعلماء من مذاهب وآراء، وكان قصده من وراء ذلك هو اطّلاع أبناء العربية على علوم أوائلهم؛ ليربطوا بين حاضرهم وماضيهم، وليدركوا أن قومهم لم يقصّروا في ذلك[1].

ومن المناسب استخلاص منهج المحققين ومنهم الشيخ في التحقيق من خلال كتبه المتعددة وتلخيص ذلك بضبطه الشديد للشواهد القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية، والأمثال العربية، ثم يقوم بشرح الأبيات شرحاً واضحاً مع إعرابها، ونجده في بعض الأحيان يتوسّع في شرحه لأبيات الألفية، متعرّضاً للمسائل الخلافيّة، مرجّحاً رأياً على آخر، أو معلّقاً عليه بأسلوبٍ علمي بليغ.

والملاحظ على جهود الشيخ هو اهتمامه الشديد بكتب المختصرات، وشرحها شرحاً وسطاً، مع شرح الكتاب وإعراب الشواهد على اختلافها وعمله هذا نجده في الهامش، إذ نجد شروحاته وتوضيحاته وإعرابه لكل شاهد مع الأدلة وآراء العلماء في الهامش.

وبهذا نجد أن محمد محيي الدين عبد الحميد قد أوقف حياته لخدمة التراث العربي الإسلامي، تدريساً وتأليفاً، وإخراجاً، وتحقيقاً.

وكان من العلماء المساهمين في تيسير الدرس النحوي في العصر الحديث من خلال تذليله للصعوبات التي تواجه دارسي النحو العربي، فقد كان يشرح العبارات الملتوية، والألفاظ الغامضة، فهو يعدّ حلقة وصل بين الدرس النحوي القديم والحديث[2].

ويمكن القول إن للتحقيق مفهوماً خاصاً عند الشيخ، ويبدو أن المنهج الحديث للتحقيق لم يكن قد تبلور أو اشتهر عند شيوخ الأزهر أو الباحثين عامة، ولكن ذلك لا يقلل من قيمة ما جاء به من أعمال محققة كان لها أثرٌ بارزٌ في تاريخ العربية.

8- طه حسين (1889-1973م)[3]

هو طه بن حسين بن علي بن سلامة، ولد سنة1889 في قرية الكيلو بـ(مغاغة)، إحدى قرى محافظة المنيا بالصعيد المصري [4].وكان السابع بين إخوته وأخواته الذين بلغوا ثلاثة عشر، وكان والده ذا مركزٍ مرموق في القرية، وقد حرص على تعليم أولاده فبينهم طالب القضاء والطبّ والأزهري وتلميذ الثانوية.

حرص والده على تعليمه فأدخله الكتّاب وحفظ القرآن الكريم،وحفظ ما كان يسمع من أدعية وأشعار وأغان وقصص.

---

(1) ينظر: م .ن: 5/1 المقدمة

(2) ينظر: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد وجهوده النحوية في تحقيقاته لشروح الألفية:143/الخاتمة.

(3) ينظر في ترجمته: الأعلام: 231/3 ،ومعجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002: 250/3،وطه حسين بين أنصاره وخصومه،،جمال الدين الآلوسي،مطبعة الإرشاد،بغداد،1973:ص12،والأيام:سيرة ذاتية،ملتزم الطبع والنشر:دار المعارف بمصر،د.ت.

(4) ينظر: الأعلام: 231/3.

وكان عام 1902م فاصلاً بينه وبين حياته في القرية، ومبدءاً لحياة أفضل؛ لأنه دخل الأزهر، وكان ما حفظه في القرية قد أهلّه لأن يتفوق على أقرانه في الأزهر، ومكّنه من أن يتابع دروس شيوخه بوعي وفهم[1].

تفتّح ذهنه واتسعت آفاق تفكيره حين بدأ يحضر دروس الأدب على يد علي المرصفي[2]، والمرصفي ينحو بدروسه منحى اللغويين والنقّاد مع ميلٍ للتفقّه والتحليل والعناية بمفردات اللغة وإظهار ما في البيت من معانٍ وبديع وبيان.

وفي عام 1908م فُتِحَتِ الجامعة المصرية الأهلية فانتمى إليها، وقضى فيها ثلاث سنوات يختلف إليها وإلى الأزهر، وقد وجد في دروس الجامعة اختلافاً كثيراً ووجد حرية البحث، وأسلوباً يختلف كل الاختلاف عن أسلوب الأزهريين، فقد وجد في الجامعة مبتغاه، وفي ظل البحث التحليلي أخرج رسالته في الآداب عن ذكرى أبي العلاء سنة 1914م، التي نال بها درجة الدكتوراه بتفوق، وهو يعدّ أول من حصل على شهادة دكتوراه من الجامعة المصرية.

وفي السنة نفسها سافر على نفقة الجامعة إلى فرنسا ليكمل دراسته في علم الاجتماع، فكان ذلك حدثاً لم يتيسر لغيره من أمثاله، وفي باريس درس الأدب الفرنسي واللغة اللاتينية وكان يستعد للدكتوراه برسالة عن ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية [3].

وفي سنة 1918م قفل إلى مصر بعد أن حصل على الدكتوراه، وتمّ تعيينه أستاذاً للتاريخ القديم، وفي سنة1925أُلحِقت الجامعة بالحكومة فتم تعيينه أستاذاً دائماً للأدب العربي بكلية الآداب فيها.

في سنة 1926م نشر كتاباً باسم (في الشعر الجاهلي) أثار ظهوره ردود فعل قوية كادت تعصف بكرسيه وأدبه، وأخرجت المطابع كتباً عديدة في الردِّ عليه، وأحيل إلى النيابة وحققت معه وانتهت بقرارها سنة 1927م بسحب الكتاب ومصادرته من الأسواق، وكان قرارها مثالاً للحكم النزيه والتدقيق العلمي البريء عن الهوى، وفيه تفنيد لمزالق ارتكبها طه في كتابه وتفنيد آراء المستشرقين الذين أخذ عنهم أمثال رينان ومرغليوث [4].

أصبح وزيراً للمعارف سنة 1950م وفي هذه الفترة تمكّن من جعل التعليم الثانوي والفني مجاناً.

كان من أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلين بدمشق،ثم رئيساً لمجمع اللغة بمصر.

عينته جامعة الدول العربية رئيساً للجنتها الثقافية فأدارها مدة، وحاول البدء في عمل(دائرة معارف) عربية،ولكنه لم ينجح [5].

---

(1) ينظر: طه حسين بين أنصاره وخصومه: 12.

(2) وهو سيد بن علي المرصفي الأزهري ، عالم بالأدب واللغة ، مصري لم يرد في الأعلام سنة ولادته ، كان من جماعة كبار العلماء في الأزهر ، تولى تدريس اللغة ، وكان يعقد حلقات للدرس إلى أن توفي سنة 1931 ، له كتب منها رغبة الأقل في كتاب الكامل ، ينظر: الأعلام: 217/3 .

(3) ينظر: الأعلام: 231/3 ، ومعجم الأدباء حتى 2002: 250/3 .

(4) ينظر: طه حسين بين أنصاره وخصومه: 15.

(5) ينظر: الأعلام: 232/3 ، والموسوعة العربية الميسرة: 1164/2.

توفي سنة 1973م[1]، وقد ترك وراءه آثاراً أهمها [2]:

1. الأيام (سيرة ذاتية)، ويقع في جزأين اثنين.
2. في الشعر الجاهلي[3].
3. حديث الأربعاء.
4. على هامش السيرة.
5. تجديد ذكرى أبي العلاء[4].
6. قادة الفكر.[5].
7. قصص تمثيلية من الفرنسية.
8. نظام الأثينين لأرسطو.
9. مستقبل الثقافة في مصر.
10. فلسفة ابن خلدون(وهو رسالة الدكتوراه بالفرنسية).
11. الوعد الحق.

نظرة في آرائه اللغوية

لم يكن لطه حسين كتاب خاص في اللغة، وإنما كانت آراؤه اللغوية مبثوثة بين مؤلفاته، وأيضاً وجدنا بعض آرائه اللغوية في المقدمة التي افتتح بها كتاب (إحياء النحو)لإبراهيم مصطفى وكتاب(مستقبل الثقافة في مصر).

واستطعنا أن نستخلص آراءه من مقدمة إحياء النحو، إذ يقول إنه قد ضاق بأصول النحو القديمة منذ عهد الأزهر، وأخذ ينكر هذه الأصول أيام الجامعة القديمة، وبدأ يتلمّس لها أصولاً جديدة منذ التقائه بإبراهيم مصطفى في الجامعة الجديدة[6].

ويُفهم من رأيه هذا أنه كان من الداعين إلى تيسير النحو وتسهيله؛ فهو يراه معقداً بأصوله القديمة، و يرى أن قصور النحو يكمن في علته الطبيعية وهي فلسفة النحويين التي عقدته فقصروا به عن أن يذوق جمال العربية ويصور ذوقها كما ينبغي [7].

---

(1) ينظر: الأعلام: 232/3،والموسوعة العربية الميسرة:1164/2.

(2) ينظر: الأعلام: 232/3،ومعجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002: 251/3،252،وطه حسين بين أنصاره وخصومه: 15،والموسوعة العربية الميسرة:1164/2.

(3) عرَّفنا بالكتاب في أول المبحث.

(4) دار المعارف بمصر،ط5، 1958م.

(5) دار المعارف بمصر، 1952م.

(6) ينظر: إحياء النحو: ص ز.

(7) ينظر: م . ن: ص م.

وهو من اقترح اسم (إحياء النحو) على إبراهيم مصطفى، وهو يتصور أن إحياء النحو على وجهين:

أحدهما: أن يقربه النحويون من العقل الحديث لفهمه واستساغته.

والآخر: أن تشيع فيه هذه القوة التي تحبب إلى النفوس درسه ومناقشة مسائله والجدال في أصوله وفروعه، وهذا يدعو الناس إلى أن يعنوا به بعد إهماله، ويخوضوا فيه بعد الإعراض عنه[1].

ويرى طه حسين أن النحو العربي بصورته الأولى كان علماً ميتاً، فأحياه إبراهيم مصطفى، وبعث فيه الذوق، وعرض مسائله الجامدة، والهامدة-على حدّ قوله- بطريقة فتحت للنحويين طريقاً إن سلكوه لن يحيوا النحو وحده، بل سيحيون معه الأدب العربي [2].

ومن آرائه التي يعتدّ بها هي حفاظه على اللغة العربية الفصحى، إذ يرى أن هناك من يستخفّ باللغة الفصحى ويريد أن يتخلّص منها وينصرف عنها إلى اللغة العامية مجاهراً بذلك، والبعض الآخر لا يتردد في أن يطالب بإلغاء الإعراب وتسكين الكلمات مع أنه عضو في المجمع اللغوي المصري [3]، فهو يرى أن هذه الدعوة هدم وإضعاف للغة التي تجمع بين العرب[4].

له آراء في نقد الدعوة إلى العامية سنذكرها في الفصل الرابع.

إن من يقرأ كتابات طه حسين يجده متناقضاً في آرائه في بعض الأحيان فهو يرى في كتاب مستقبل الثقافة في مصر أن الأزهر هو معهد مسرف في التجديد، ومسرف في الإسراع نحو الحديث، ولكننا نجده في موضع آخر يرى أن الأزهر بحكم تقاليده وتاريخه بيئة محافظة تمثّل العهد القديم والتفكير القديم، ومن العسير على الجيل الأزهري الحاضر إساغة الوطنية والقومية بمعناها الأوربي الجديد[5].

9- إبراهيم أنيس:(1906م- 1978م**)** [6]

ولد بالقاهرة سنة 1906م، والتحق بدار العلوم العليا، وتخرّج منها حاصلاً على الدبلوم العالي في سنة 1930م، وعمل مدرساً في المدارس الثانوية، وحصل من جامعة لندن على إجازة الآداب سنة 1939م، ثم دكتوراه الفلسفة في الدراسات اللغوية السامية سنة 1941م، ومع انشغاله بالدراسة لم ينصرف عن العمل الاجتماعي، إذ كان له دور بارز فيه، فقد انتخب رئيساً للنادي المصري بلندن،يدير أعماله وشؤونه[7].

---

(1) ينظر: م . ن: ص س.

(2) ينظر: م . ن: ص س و ع .

(3) يقصد به عبد العزيز فهمي الذي كتب رسالة في الدعوة للكتابة بالحروف اللاتينية ، ينظر: الأعلام:24/4.

(4) ينظر:طه حسين بين أنصاره وخصومه:319، والنهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ، 2: 125 .

(5) ينظر:مستقبل الثقافة في مصر: الصفحات من 34-39.

(6) ينظر في ترجمته: تتمة الأعلام: 12/1،11،وذيل الأعلام، أحمد العلاونة،دار المنارة للنشر والتوزيع،ط1، 1998:17،وإتمام الأعلام، د.نزار أباظة ،ومحمد رياض المالح،دار صادر،بيروت،ط1، 1999:ص 14 ومعجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 24/2000:1.

(7) ينظر: تتمة الأعلام:11/1،وذيل الأعلام: 17.

عُيّن بعد عودته من لندن مدرّساً بكلية دار العلوم، ثم انتقل إلى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وظل بها عامين أنشأ خلالهما معمل الصوتيات لتحديث الدراسات اللغوية، ودراسة الأصوات ومقاييس تصنيفها، ثم عاد إلى دار العلوم، وترقّى في وظائفها إلى أن أصبح أستاذاً ورئيساً لقسم اللغويات، ثم تولى العمادة سنة 1955م، للمرة الأولى، وعيّن عميداً لها مرة أخرى 1958م، وظل في منصبه هذا عدّة سنوات حتّى قدّم استقالته حين رأى الأمور تسير على غير ما يحب[1].

حصل على جائزة الدولة التشجيعية سنة 1958م عن كتاب(دلالة الألفاظ اللغوية)[2]، واختير خبيراً بمجمع اللغة العربية منذ سنة 1948م،ونال عضوية المجمع في سنة 1961م.

تزخر المجلات اللغوية ببحوثه ومقالاته، ومجلة المجمع تستأثر بقسطٍ من هذا النشاط قبل أن يتولى الإشراف عليها اعتباراً من العدد الثاني والعشرين الصادر سنة 1967م.

لفت إبراهيم أنيس الأنظار إليه بدراساته وبحوثه الجديدة في علم اللغة، وساهم مساهمة فعّالة في أعمال لجنة الأصول ولجنة اللهجات، ولجنة المعجم الكبير في مجمع اللغة العربية، وأهم مؤلفاته هي:

1. موسيقى الشعر[3].
2. اللغة بين القومية والعالمية [4].
3. دلالة الألفاظ.
4. في اللهجات العربية[5].
5. الأصوات اللغوية[6].
6. من أسرار اللغة [7].
7. مستقبل اللغة العربية المشتركة [8]

ظل إبراهيم أنيس منكبّاً على بحوثه وكتاباته حتى وافاه الأجل إثر حادثٍ أليم في سنة 1978،وهذا التاريخ أجمعت عليه المصادر التي نقلنا عنها[9].

---

(1) ينظر: إتمام الأعلام: 14،وذيل الأعلام:17.
(2) مكتبة الآنجلو المصرية، ط3، 1972م.
(3) طبع ونشر: مكتبة الآنجلو المصرية،ط3 ،1965م.
(4) دار المعارف بمصر، 1970م.
(5) طبع ونشر:مكتبة الانجلو المصرية،ط4، 1973.
(6) طبع ونشر: مكتبة الانجلو المصرية، ط5 ، 1975.
(7) طبع ونشر: مكتبة الانجلو المصرية، ط7، 1994.
(8) لم أقف على نسخة من هذا الكتاب في المكتبات التي بحثت فيها.
(9) ينظر: تتمة الأعلام: 12/1،وذيل الأعلام:17،وإتمام الأعلام:14،إلا مصدراً واحداً قال إنه توفي سنة1977في هامش الصفحة قال د.عبد العزيز مطر((دعاني إلى كتابة هذا المقال بعد طول غيبة أمران لكليهما قوة الخفر أوفى نصيب،أولهما وفاء التلميذ لأستاذه الذي يمر اليوم عامان على وفاته إثر صدمة في سيارة يقودها طالبٌ متعجّل...))نشر هذا المقال في مجلة الإذاعة المصرية في 1979/6/23،في النقد اللغوي ،د.عبد العزيز

- **نظرة في آثاره:**

كان إبراهيم أنيس من العلماء المبرّزين في علوم اللغة العربية، فهو يعدّ رائد الدراسات اللغوية، وكان من ذوي العلم والإتقان، ودراسته في لندن مكّنته من الاطلاع على مناهج جديدة، واطّلع على محاولات المستشرقين في تفسير الظواهر اللغوية، فأنضجت هذه الدراسات تفكيره، وأثْرَتْ منهجه.

وقع اختيارنا على كتابين من كتبه هما(في اللهجات العربية)، الذي ألفه سنة 1946م، وكتاب(الأصوات اللغوية) الذي ألفه – كما أظن- قبل سنة 1950، وسبب اختيارنا لهذين الكتابين؛ أنهما الكتابان الوحيدان اللذان ألفهما قبل 1950م، واهتدينا إلى ذلك من خلال مقدمات الطبعات الأُولى في مؤلفاته.

عالج في كتابه (في اللهجات العربية) اللهجات العربية القديمة؛ لأنه يعدُّها من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية؛ فقد نمت دراساتها في الجامعات الأوروبية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حتّى غدت دراسة متميّزة وفاعلة، أُسِّسَ لها فروع خاصة لدراستها في بعض الجامعات الراقية [1]، ومن الدلائل التي تشير إلى اهتمامه المتزايد بهذه الدراسة أن أطروحته للدكتوراه كانت عن الخصائص النحوية للعربية المنطوقة في مصر[2].

والقارئ لمؤلفات إبراهيم أنيس يجد أنه قد تهيأت له ظروف مكنته من دراسة اللهجات؛ فقد درس في لندن، ولاحظ الاهتمام بالدرس اللهجي هناك، ولكن عند عودته إلى وطنه وجد أن البيئة العربية خالية من الاهتمام بالدرس اللهجي، ووجد المرحوم(حفني ناصف)وصيحته التي أطلقها في (مؤتمر المستشرقين)بفيينا في سنة 1882م،وعنوانها(مميزات لغة العرب)ذهبت أدراج الرياح، فهي لم تحفز الهمم، ولم تسمع المتصامّين عن كلّ بحثٍ جديد في اللغة، فلم نسمع صوتاً آخر أو إنتاجاً جديداً، وقد مضى عليها ستون عاماً[3]

ولذلك أقدم (رحمه الله) على دراسة هذا المجال والخوض فيه، مستنداً إلى مخزونه الثقافي وولعه الشديد بقراءة كتب التراث اللغوي، واللهجات القديمة، والقراءات القرآنية، فضلاً على قراءته الواعية للمعاجم اللغوية عامها وخاصّها، و رصيده الثقافي والعلمي الذي حظي به من خلال دراسته لمناهج البحث اللغوي، واطّلاعه على الدراسات اللهجية[4]

مطر،دار قطري بن الفجاءة،ط1، 1987،ص205.استنتجنا من هذا النصّ أن إبراهيم أنيس توفي سنة 1977 وهو ما ذكره مطر أيضاً في هامش الصفحة205.

(1) ينظر: في اللهجات العربية:9.

(2) ينظر: التفكير اللغوي عند إبراهيم أنيس،د.فهمي حجازي،مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة لسنة1998،ج 178/65.

(3) ينظر: في اللهجات العربية: 10.

(4) ينظر: إبراهيم أنيس ودراسة اللهجات،أ.د.إبراهيم الدسوقي،مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة،،265/23، لسنة1982.

عرض إبراهيم أنيس في الكتاب كثيراً من القضايا، إذ قسّم الكتاب إلى ثمانية فصول، ثم كلمة ختامية، وثبت بملاحق الكتاب.

خُصِّصَ الفصل الأول لمعنى اللهجة، وكيف تكوّنت؟، أما الفصل الثاني فقد خصصه للغة العربية قبل الإسلام، وغموض التاريخ السياسي والاجتماعي لجزيرة العرب في العصر الجاهلي، وكيف كان ينظر إلى اللهجات قبل الإسلام وبعده، وخصص الفصل الثالث للقراءات القرآنية واللهجات، والصفات المشهورة والمشتركة بين القراءات واللهجات مثل الفتح والإمالة والإدغام والهمز، وجاء الفصل الرابع للإعراب واللهجات، واختلاف البدو والحضر في الصفات الصوتية للنطق وعوامل التطور والجمود بين القبائل البدوية،وصفات اللهجة بين البدو والحضر، أمّا الفصل الخامس فقد خصص لاختلاف الدلالة والبنية في اللهجات، والفصل السادس جاء للمترادفات وموقف علماء اللغة من الترادف، والمشترك اللفظي وعوامله، والتضاد، وخُصِّصَ الفصل السابع للإجابة على سؤال: هل اللغة العربية لغة بدوية؟ وأخيراً الفصل الثامن الذي خَصَّصه للهجات الحديثة متحدّثاً عن لهجة القاهرة وخصائصها الصوتية، وأخطاء الأجيال الناشئة، ثم تطور المعاني في لهجة القاهرة.

ختم المؤلف الكتاب بـ(كلمة ختامية)[1]، خصصها لموضوع العناصر المشتركة بين اللهجات الحديثة تنتمي إلى لهجات عربية قديمة.

تمتاز الطبعة الرابعة بميزات منها: أن إبراهيم أنيس أضاف إليها ثبتاً بالملاحق الهامة قسّمه إلى أجزاء بلغت عشرين جزءاً، وهذه الملاحق تشتمل على نصوص اقتبسها من معجم لسان العرب لابن منظور تمكّن فيه من مسح شامل لكل الروايات التي تتصل باللهجات المنسوبة لقبائل معينة أو أمكنة محددة في شبه الجزيرة العربية.

أما الكتاب الآخر الذي اخترته فهو الأصوات اللغوية، وهذا الكتاب ألفه إبراهيم أنيس قبل 1950م، يقول في مقدمة الطبعة الخامسة – التي بين يدي- ((...وإزاء هذه النهضة المباركة في بلادنا أشعر بالغبطة والسرور؛ لأن كتابي (الأصوات اللغوية) كان أول كتاب يؤلف باللغة العربية في هذه الدراسة، وظهر لأول مرة منذ أكثر من ربع قرن))[2].

وبما إن هذه الطبعة قد ظهرت سنة 1975م فمعنى ذلك أن هذا الكتاب ظهر لأول مرة قبل 1950 بعدّة سنوات.

كتب في مقدمة الطبعة الأولى أن هذا الكتاب كان حديثاً في دراسته، ولكن هذه الدراسة ازدهرت وتأصلت بين من يعنون بالبحث اللغوي في أوربا، وهو ينسب بحثه هذا إلى الفرع الفونولوجي(phonology)؛ فهو يعنى بالصوت اللغوي في تركيب الكلام ونحوه وصرفه[3]، رغم

(1) في اللهجات العربية: 139-242.
(2) الأصوات اللغوية: 1، ولم أقف على الطبعة الأولى من هذا الكتاب في المكتبات التي بحثت فيها.
(3) الأصوات اللغوية: 4.

أن القراء نسبوه إلى البحث الفوناتيكي (phonetics)، وهو يعنى بالأصوات الإنسانية شرحاً وتحليلاً دون النظر إلى ما تنتمي إليه من لغات.

وقد يلتقي الفرعان في ميدانٍ واحد، ومن المحدثين من يميّز بين المصطلحين بجعل الثاني خاصاً بالناحية الوصفية، والأول خاصاً بالناحية التاريخية[1].

يعدّ هذا الكتاب الأول من نوعه في اللغة العربية، وهو مجهود يبغي من ورائه نشر طرف من هذه الثقافة اللغوية بين من يعنون بالبحث اللغوي في مصر[2].

يتألف الكتاب من أحد عشر فصلاً بدأها المؤلف بظاهرة الصوت، وكيف يبدأ الصوت اللغوي وأهمية السمع في ذلك، ثم الفصل الثاني عن أعضاء النطق، وأنواع الأصوات، والثالث خصَّصه لمقاييس الأصوات، ثم الرابع خصصه للأصوات الساكنة(الصامتة) ومخارجها وصفاتها، والفصل الخامس الذي خصصه لملاحظات حول دراسة القدماء للأصوات، والسادس لطول الصوت اللغوي، والسابع للماثلة ودرجاتها، والثامن للتطور التاريخي للأصوات، أمّا الفصل التاسع فقد خصصه للغة الطفل والأصوات اللغوية، والعاشر لتطور الأصوات اللغوية، وأخيراً خصص الفصل الحادي عشر لأثر العادات الصوتية في تعلّم اللغات الأجنبية، ثم ثبت بأهم المراجع العربية والأجنبية.

وبهذا ينتهي الكتاب الذي ضمّ بين دفتيه مسائل فريدة في الأصوات اللغوية، بل إنه يعدّ الكتاب المبرّز في هذا العلم، وهو كما قال عنه مؤلفه الأول من نوعه في اللغة العربية.

أهم ما يميّز هذا الكتاب هو أنه كتاب متميّزٌ في طروحاته، جديدٌ بأفكاره، ويعدّ مؤلفه أول مؤلف عربي شرح نظريات التطور الصوتي بصورة موجزة، مثل نظرية السهولة[3]،ونظرية الشيوع [4]، سبقه إلى ذلك برجشتراسر في كتابه(التطور النحوي)[5].

استخدم إبراهيم أنيس في كتابه كثيراً من المصطلحات الإنجليزية، ونقل عن علماء العربية بدءاً بالخليل وسيبويه متدرجاً إلى ابن جنّي والزمخشري وابن الجزري، ونقل عن علماء الصوت الغربيين؛ لكونهم أول من كتب في هذا العلم من المحدثين مثل: دانيال جونز،و برجشتراسر،والبروفسور فرث.

---

(1) ينظر: م.ن .
(2) ينظر: م . ن: 5.
(3) ينظر: الأصوات اللغوية:234.
(4) ينظر: م.ن: 237.
(5) محاضرات ألقاها برجشتراسر في الجامعة المصرية سنة 1929م،علّق عليه د.رمضان عبد التواب،الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض،د.ت.

10- علي عبد الواحد وافي (1901-1992م) [1]

ولد في أم درمان لأب مصري،تخرّج في أول دفعة في دار العلوم سنة 1925م[2]، وحصل على الليسانس في قسم الفلسفة والاجتماع من كلية الآداب بجامعة السوربون بفرنسا سنة 1928م، كما حصل على أربع دبلومات عالية في الاجتماع والأخلاق والاقتصاد والتربية وعلم النفس والفلسفة من الكلية ذاتها [3].

عَمِلَ وكيلاً لكلية الآداب ورئيساً لقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ولقسم الاجتماع، وأستاذاً لعلم الاجتماع بجامعة القاهرة، كما عَمِلَ عميداً لكلية التربية بجامعة الأزهر، وعميداً لكلية الآداب وكلية العلوم الاجتماعية، وأستاذاً ورئيساً لقسم الاجتماع بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومحمد الخامس بالرباط[4]، شَغِل مناصب أخرى منها عضوية مجمع اللغة العربية، وعضوية المجالس القومية المتخصصة، كما عَمِل رئيساً لشعبة الرعاية الاجتماعية بالمجلس القومي للخدمات، وعضوية شعبة العلوم الإنسانية في هذه المجالس، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

أُختير رئيساً للجمعية العلمية المصرية وللجمعية المصرية لعلم الاجتماع، وأشرف على إصدار بعض مؤلفاتها، وترجم لنفسه ذاكراً تجربته في علم الاجتماع وعدد مؤلفاته في كتاب ((علم الاجتماع والاجتماعيون تجارب وخبرات))[5]، له أعمال كثيرة، لعلّ أبرزها تحقيقه لمقدمة ابن خلدون، أما أهم مؤلفاته[6] فهي:

1. الأسرة والمجتمع.
2. مشكلات المجتمع المصري والعالم العربي وعلاجها في ضوء العلم والدين.
3. غرائب النظم.
4. نظرية اجتماعية في الرقّ
5. علم اللغة [7]
6. فقه اللغة[8].

---

(1) ينظر في ترجمته: تتمة الأعلام: 2/64،63.

(2) تأسست دار العلوم سنة 1871م،فمن الغريب أن تتخرّج أول دفعة لها سنة 1925م،وقد يكون ذلك بعد تحوّلها إلى تجهيزية.

(3) ينظر: تتمة الأعلام:2/63.

(4) ينظر: تتمة الأعلام:2/ 64.

(5) لم أقف على نسخة منه في المكتبات التي رجعت إليها.

(6) ينظر: تتمة الأعلام، محمد خير رمضان،دار ابن حزم،بيروت ،لبنان،ط2، 2002م:2/64 .

(7) ملتزم الطبع والنشر دار نهضة مصر /الفجالة-القاهرة/ط7-1972م .

(8) ملتزم الطبع والنشر:دار نهضة مصر/الفجالة-القاهرة/ط7-1972م .

7. اللغة والمجتمع [1].
8. الوراثة والبيئة[2].

توفي علي عبد الواحد وافي سنة 1992م عن سنّ جاوز التسعين عاماً[3].

نظرة في آثاره:

سنتعرّض هنا إلى ثلاثة من كتبه التي ألفها قبل 1950م، والتي لها صلة وثيقة بالدرس اللغوي، وهي (فقه اللغة)و(علم اللغة) و(اللغة والمجتمع)، وسأبدأ بكتابه المعروف (علم اللغة)، الذي ظهرت طبعته الأولى سنة 1940[4].

يدور موضوع الكتاب حول موضوعات علم اللغة الذي كان موضع عناية كثير من الباحثين في أمم الغرب، وبُذِلَ في سبيلها جهودٌ قيمة بلغ بفضلها هذا العلم درجة من الرقي والنضج، فبدأت حدوده تتضح، ومناهجه تتبلور، وأساليبه وطرق دراسته تكتمل، ومع هذا لم يكتب فيه باللغة العربية مؤلف يعتدّ به، إلا في الكتب القديمة تمثّل هذا العلم في أدوار طفولته الأولى[5]؛ ولذلك رأى المؤلف أن من الواجب عليه أن يبذل قسطاً من جهوده في هذا العلم الذي قام بتدريسه مدة طويلة، وتعدّ محاولاته هذه أولى المحاولات التي كتبت في العربية في علم اللغة، فهو رائدٌ من رواد علم اللغة الحديث.

أما طريقة تبويبه للكتاب فقد كانت تتضمن تمهيداً خصصه للتعريف بعلم اللغة بدءاً بالبحوث اللغوية وما ينضوي منها تحت علم اللغة، وأغراض علم اللغة، وقوانينه، وعلاقاته ومناهجه، وتاريخ البحوث اللغوية ثم موضوعات الكتاب، والتي بدأها بالباب الأول الذي خصصه لنشأة اللغة، وقسّمه على فصلين اثنين، هما نشأة اللغة عند الإنسان، ونشأة اللغة عند الطفل، والباب الثاني خصصه لحياة اللغة وقسّمه على ستة فصول، ضمّ الفصل الأول تفرع اللغات إلى لهجات ولغات، وخصص الفصل الثاني لفصائل اللغات، وضمّ الثالث صراع اللغات، أما الرابع فضمّ التطور اللغوي العام، والخامس خصص لأصوات اللغة حياتها وتطورها، وأخيراً الفصل السادس الذي خُصِّص للدلالة وتطورها، ثم ثبت بالمراجع العربية والإفرنجية.

أهم ما يميّز الكتاب أن مؤلفه لم يألُ جهداً فيه، فقد عرض مسائله مناقشاً إياها، ومدلياً بما يصحّ الركون إليه في صددها، مراعياً الإيجاز في علاج الموضوعات، ويعترف المؤلف أن كل ما ذهب إليه الباحثون في هذا الكتاب هو مجموعة آراءٍ ظنيّة تعتمد في بعض نواحيها على الحدس، وفي نواحٍ أخرى على حججٍ ضعيفة لا يطمئن إلى مثلها التحقيق العلمي[6]، وإن منهج البحث في

(1) دار نهضة مصر للطبع والنشر،الفجالة-القاهرة،د.ت.
(2) دار نهضة مصر للطبع والنشر،الفجالة،القاهرة،ط2، 1970م.
(3) ينظر: تتمة الأعلام: 64/2.
(4) ينظر: علم اللغة: 4/الهامش.
(5) ينظر: علم اللغة:4.
(6) ينظر: م .ن .

هذا الكتاب لا يتفق في شيء مع ما ينبغي أن تكون عليه مناهج البحث في العلوم؛ لذلك يعدّه الباحثون دخيلاً على مادتهم[1].

ذكر المؤلف في كتابه هذا كثيراً من المصطلحات الفرنسية إلى جانب المصطلح العربي مثل مصطلح نشأة اللغة Origine du Langageومصطلح حياة اللغة Vie du languageوعلم المفردات Lexicologieوعلم الاجتماع Socioloie وغيرها كثير، فلا نجد صفحة من صفحات الكتاب تقريباً تخلو من مصطلح فرنسي.

استخدم المؤلف طرقاً عامة وخاصة في دراساته مستعرضاً إياها ومعلّقاً عليها بما يوضح نوعها ونواحي استخدامها ومنشأها ذاكراً ما فيها من محاسن وعيوب[2].

استعان المؤلف في أثناء عرضه لمراحل التعبير في الطفولة[3] بأمثلة من حياته الخاصة، إذ عبّر عن كل مرحلة بمثال من أبنائه وهم يجتازون هذه المراحل[4]، فهو يقرّب المثال حتى يستطيع القارئ فهمه وتخيّله.

كذلك يستعين المؤلف بآراء الباحثين والعلماء الغربيين[5]، الذين كان لهم الأثر الواضح على على علم اللغة.

أما كتابه الآخر فهو(فقه اللغة) ألفه في الأربعينات من القرن العشرين أي بين 1940إلى 1945م،ويعدّ بمنزلة الجزء الثاني لكتاب (علم اللغة)[6]،وهذا ما جاء في مقدمة الطبعة الأولى منه.

قال في المقدمة أنه عرض في علم اللغة دراسة للنواميس العامة التي تسير عليها اللغات الإنسانية في نشأتها، وانشعاب الأصل الواحد منها إلى شعب وفروع، وسيتضمن هذا الكتاب فصيلة خاصة من فصائل اللغات وهي (اللغات السامية) مفصلاً في لغة منها بعض التفصيل، وهي اللغة العربية[7].

أما طريقة المؤلف في تبويب موضوعات الكتاب فلم تختلف كثيراً عن طريقته في كتاب(علم اللغة)، إذ تضمن الكتاب تمهيداً خصَّصه للشعوب السامية ولغاتها والموطن الأول لها وخصائصها وصفاتها المشتركة والخلاف فيما بينها، وصلتها باللغات الحامية، ثم قسّم الكتاب إلى ستة أبواب تفرّع بعضها إلى فصول، تضمّن الباب الأول اللغات الأكادية من نشأتها وخصائصها، ورسمها ولهجاتها، والباب الثاني تضمّن اللغات الكنعانية ونظرة عامة في شعوبها وآثارهم ولغاتهم، والفينيقية، أما الباب الثالث فقد تضمّن اللغات الآرامية ونشأتها وآثارها ونهايتها، ثم الباب الرابع

---

(1) ينظر: م .ن: 34-52.
(2) ينظر: م . ن:127 .
(3) ينظر: علم اللغة .
(4) ينظر: م . ن: 131، 133، 138، 147، 148و 149(الهامش)،150.
(5) ينظر: م . ن:45، 53، 55، 61، 62، 63، 84، 130، 288، 290، 297.
(6) ينظر: فقه اللغة: 5/مقدمة الطبعة الأولى.
(7) ينظر: م . ن

الذي ضمّ بين دفتيه اللغات اليمنية القديمة ونشأتها وأدوارها وأقسامها، والباب الخامس كان يضمّ اللغات الحبشية السامية ونشأتها كذلك وأقسامها.

وأخيراً الباب السادس الذي خُصّص للغة العربية وحياتها، ومنزلتها ونشأتها وصراع لهجاتها مع بعضها، واللهجات العامية، وعناصر اللغة العربية وما امتازت به من مميزات، وأصواتها وقواعدها.

وآخر ما تضمنه الكتاب هو فصل خصصه المؤلف لمجمع اللغة العربية،ومتى أنشئ، وأغراض إنشائه، وأعماله، ثم ثبَتٌ بالمراجع العربية والإفرنجية، وبهذا ينتهي الكتاب.

وقد انتهج المؤلف في هذين الكتابين (علم اللغة)و(فقه اللغة) طريقة في التأليف اعتمد فيها بسط المعلومات ومعالجة مشكلات اللغة التي تحتاج إلى معالجة، مما يدل على علمية المؤلف وغزارة المعلومات التي يمتلكها وشموليتها، وإحاطته بكل وجهات النظر المتباينة في أي مسألة يعالجها.

أمّا كتابه (اللغة والمجتمع) الذي كتبه سنة 1946م أو قبلها بقليل؛ فقد وجدت في آخره تعليق صاحب المعالي عبد العزيز فهمي على الكتاب وتعقيب المؤلف عليه[1]، إذ قال إنه نشر خطاب عبد العزيز فهمي في 25(فبراير)1946، ومعنى هذا إن الكتاب أُلِّف قبل 1950م.

قال د.علي عبد الواحد في مقدمة الكتاب إن الظواهر الاجتماعية تمتاز بصفات كثيرة أهمها الخواص الثلاث الآتية [2]:

1- إنها تتمثل في نظم عامة يشترك في اتباعها أفراد مجتمع ما، ويتخذونها أساساً لتنظيم حياتهم، وتنسيق العلاقات التي تربطهم.
2- إنها ليست من صنع الأفراد، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات.
3- إن خروج الفرد على أي نظام منها يلقى من المجتمع مقاومة تأخذه بعقاب مادي أو أدبي وتلغي عمله وكأنه لم يكن.

وهذه الخواص تتوافر في اللغة على أكمل ما يكون، فاللغة عنده هي ((نظام عام يشترك الأفراد في أتباعه، ويتخذونه أساساً للتعبير عمّا يجول بخواطرهم، وفي تفاهمهم بعضهم مع بعض))[3].

خلص المؤلف بعد حديث عن اللغة ونظامها في المجتمع، واستخداماتها، والخطأ الذي يقع فيها ومدلولات اللفظة المختلفة، أن اللغة ظاهرة اجتماعية،وهي لذلك تؤلف موضوعاً من موضوعات علم الاجتماع، وقد درسها في هذا الكتاب على منهج هذا العلم ومن وجهة نظره الخاصة.

---

(1) ينظر: اللغة والمجتمع:204، والحقيقة أنني لم أقف على الطبعة الأولى من الكتاب في المكتبات التي بحثت فيها.
(2) ينظر: م . ن: 4،3.
(3) اللغة والمجتمع: 195.

قسّم الكتاب إلى ثلاثة فصول خصص الأول لتطور اللغة، وأثر العوامل الاجتماعية، والأدبية، والطبيعية، واللغوية، ثم خلاصة للفصل.

أمّا الفصل الثاني فقد خصصه لصراع اللغات، ونزوح العناصر الأجنبية وأثرها في هذا الصراع، وخلاصة للفصل.

وخَصَّص الفصل الثالث لتفرُّع اللغة إلى لهجات ولغات، ضمّ بين دفتيه انتشار اللغة، والعوامل المباشرة في تفرّع اللغة، واللهجات المحلية وصراعها بعضها مع بعض، واختلاف نواحي الفصحى باختلاف فنون القول، ثم يختم الفصل بخلاصة تضمّنت تقسيم الكتاب وطريقة تبويبه وترتيبه.

ثم خاتمة [1] للكتاب خصصها المؤلف لمبلغ تأثر العوامل الاجتماعية وتأثيرها على اللغة، وخضوع اللغة في مختلف مظاهر حياتها لقوانين مطردة ثابتة، ثم بيّن الطريق الجادّة للإصلاح اللغوي والتي تتمثّل في دراسة حياة اللغة ومناهج تطورها.

بعد الخاتمة خصص المؤلف جزءاً من الكتاب لتعليق السيد عبد العزيز فهمي [2] على محتويات الكتاب، وطرح رأيه بشأن موضوع إصلاح الرسم العربي، وتعقيب المؤلف عليه[3]، وسنأتي على هذا الموضوع لاحقاً في الفصل الرابع من البحث.

أهم ما يميّز الكتاب هو اتباع المؤلف فيه طريقة جديدة وهي أن يختم كل فصل بخلاصة لا تتجاوز ثلاث صفحات، وتتضمّن محتويات الفصل وما فيه من نتائج، وما توصل إليه من استنتاجات، وتأتي الخاتمة لتجمع كل ما توصّل إليه من نتائج دونّها في خلاصة كل فصل.

---

(1) ينظر:اللغة والمجتمع: 195.
(2) ينظر: م . ن:199- 204
(3) ينظر: م . ن: 205-225.